

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية التربية - قسم اللغة العربية
شعبة الدراسات الأدبية والنقدية

بحث بعنوان :-

وصف الأزهار في الشعر العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إشراف
أ.د. عباس محبوب

إعداد الطالبة
رحاب عوض سليمان

٢٠٠٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية

قال تعالى:

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا
عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

البقرة: الآية (٣٢)

الإهداء

إلى كل إنسان ... يعطي الحياة إضافة

إلى كل محب.. للحرية..

والخير..

والحق..

والجمال..

والى سر ... الروعة في أشياءي

الباحثة.

شكر وعرفان

الحمد لله حمد المقر بفضلله، العارف بنعمه، الصابر على حكمه، والصلاة والسلام على سيد العلماء وإمام العارفين والهادي إلى صراط الله المستقيم. وبعد..

فمن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله فالشكر لله أولاً وأخيراً.

في البدء أتقدم بجزيل شكري وعظيم تقديري وامتناني للأستاذ الفاضل/ عباس محبوب إذ قبل الإشراف على هذه الدراسة بنفس منسجمة مع كثرة إنشغالاته وضيق وقته ووقوفه بجانبني فدعواتي الصادقة الدائمة له أن يجعل الله له في ظل شمس العافية شمساً لا تغيب.

واشكر كذلك لجميع القائمين على أمر المكتبات لما وفروا لي من خدمة واهص بالشكر كلية التربية جامعة أمدردان الإسلامية لما أتاحا لي من فرصة لتقديم هذه الدراسة في أروقتها، كما أتقدم لخالص شكري للجنة المناقشة لتفضلهم بنقويم هذه الرسالة.

وأولو الشكر على كثر، وصنيعهن أكبر من أن يشاد به، فلهن مني الشكر والعرفان.
(...إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) ^(١)

(١) الكهف : الآية ٧.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

كانت أغراض الشعر العربي قبل الإسلام تابعة لحال العرب آنذاك ، فكان من الطبيعي أن تفرز تلك الحقبة المثقلة بالنزاعات القبلية والحروب والثارات أغراضاً شعرية مماثلة تتمثل في: الحماسة، الفخر، الرثاء، الهجاء، ووصف المعارك وغيرها ، فالشعر علمهم الذي لم يكن لهم سواه كما قال: ابن سلام: (وكان الشعر علم قوم ولم يكن لهم علم أصح منه..)^(١). ولكن هذا الشعر جاء خالياً من وصف الحياة المدنية ومظاهرها الجمالية وإن وجد شئ من ذلك فهو قليل ونادر، وغالباً ما يكون في شعر القبائل المتاخمة لبلاد الفرس والروم، أو تلك التي كانت قريبة من مكة حاضرة العرب آنذاك.

فلما جاء الإسلام أحدث تغييراً هائلاً في المعتقدات والأفكار والسلوك الفردي والجماعي ، وكان من جزاء ذلك أن اندثرت بعض الأغراض الشعرية التي عرفها الشعر الجاهلي ، وحلت محلها أغراض أخرى ملائمة للبيئة الجديدة. ولا يخفى على كل من له إلمام بالأدب أن لغة الشعر نفسها قد اختلفت بعد ظهور الإسلام؛ عندما ظهرت في المجتمع العربي مفردات لغوية جديدة وأنماط تعبيرية مستحدثة لم تكن مستعملة في الجاهلية، إذ لم تكن البيئة تألفها ولا حاجة للناس فيها. ولقد زاد الأمر اتساعاً بعد الفتح الإسلامي، ففي مجال التعبير توسعت اللغة بعد دخول الألفاظ المعربة إلى كلام العرب، وقام المولدون من الشعراء، والأدباء باستحداث ألفاظ وتعابير جديدة. أما في مجال الأغراض الشعرية فقد ظهرت أغراض أخرى لم يكن للعرب بها عهد من قبل كالمجون ، والزندقة، ووصف الغلمان وغير ذلك ، وهكذا انتشر العر واتسعت دائرته.

فلما جاء العصر الباسي وبلغ العرب فيه أعلى قمم الحضارة ، وكان الشعر أيضاً قد بلغ أقصى درجات نضجه واكتماله.

(١) محمد بن الجهمي: طبقات فحول الشعراء - ص: ٢٤ - شرح: محمود محمد شاكر - مطبع المدني - القاهرة.

لقد عاش الشاعر العربي في العصور الإسلامية المتقدمة أزهى أيامه، فقد انقشعت عنه روح البداوة، وسادت فيه روح المدنية والحضارة، وتألق الشعراء إلى أبعد الحدود فأتوا بكل ما هو رائع وجميل.

ومن مظاهر المدنية التي تجلت في الشعر العربي أيام ازدهاره ذلك الكم الهائل من الشعار التي عنيت بالرياض والمُنْتَرَهَات، والحدائق ، وتغنت بوصف الأزهار وجمالها، فمنذ أيام الدولة العباسية أتجه الشعراء إلى الطبيعة فجعلوا منها مادة يستوحون منها أخيلتهم وصورهم الفنية، وقد ساعد على ذلك ما تسرب إلى العرب من الشعر الفارسي الذي حفل بذكر الزهار، ووصفها، فالفرس هم أهل هذه الصنعة وأربابها ، ودليل ذلك أن أكثر أسماء الأزهار كالنرجس، والنسرين، والبنفسج، وغيرها فارسية الأصل، وقد تم تعريبها فيما بعد على يد الشعراء وأهل اللغة.

هذا عن المشرق، أما المغرب- وخاصة الأندلس- فقد كانت المدينة أكثر عمقاً منها في المشرق. فالأندلسيون يعيشون في بيئة جميلة لم تعرف البداوة من قبل، فهي بيئة قامت من أول أيامها على الحضارة وقد تأثر الشعراء الأندلسيون بهذه البيئة ، وتغنوا بها، وكان للأزهار النصيب الأوفى في اشعارهم خاصة التي تناولت الطبيعة.

ولما كان للأزهار ووصفها هذه المكانة في الشعر العربي أيام عصوره الزاهية فقد رأيت أن أهتم بهذه الظاهرة وأقف على أسبابها وعلاقة ذلك بالبيئة، ومن ثم التعرف على أنواع الأزهار التي تعاملوا معها، والصورة الفنية التي تضمنتها إلى غير ذلك مما له علاقة بالموضوع.

دوافع اختيار الموضوع:-

- ١- حظي وصف الأزهار بمكانه في الشعر العربي أيام عصوره الزاهية ورأيت أن أوليه الاهتمام والعناية.
- ٢- عدم وجود دراسة سابقة لهذه الظاهرة من قبل فرأيت أن اميط عنها اللثام واكشف نقابها.
- ٣- إن للأزهار وقعاً ريحاً في النفس بما فطرت عليه من حب الجمال ولها في نفسي وقع خاص كثيراً ما تستوقفني بأشكالها وألوانها مما يدفعني لاختيار هذا الموضوع

أهداف البحث:

- ١- محاولة الوصول إلى فهم متقدم لتنمية الذوق الجمالي.
- ٢- السعي للفت الانتباه إلى الاهتمام بالأزهار وأهميتها وإدراك قيمتها الجمالية.

الدراسات السابقة:-

لم تكن هناك دراسات سابقة مباشرة لوصف الأزهار لكن توجد دراسة غير مباشرة اطلعت عليها في إدارة البساتين بالخرطوم تشير إلى فوائد الأزهار طبياً في كتاب بعنوان : (النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي)^(١).

الصعوبات التي واجهت الباحثة:-

لم يكن طريق البحث سهلاً وميسوراً ، وواجهت كثيراً من الصعوبات والمعوقات حين كتابة هذا البحث ومن مجملها تفرق المراجع في أماكن شتى، وأن مادة البحث لم تنحصر في الدوايين فقط.

منهج البحث:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج المتكامل الذي يأخذ من كل منهج سبب، فمثلاً لجأت إلى المنهج الوصفي في دراسة الشعر الخاص بهذه الظاهرة، والمنهج التحليلي في معالجة النصوص للتوصل لرؤية متكاملة حول وصف الأزهار ، كما لم يهمل البحث المنهج التاريخي في تتبع الظاهرة عبر نختلف عصور الأدب.

(١) إصدار: المنظمة العربية للتنمية الزراعية- جامعة الدول العربية - الخرطوم - ١٩٨٨م.

خطة البحث:

احتوت الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول . قسمت إلى مباحث، وخاتمة، وقائمة بأسماء المصادر والمراجع.

الفصل الأول: وصف جماليات الطبيعة وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إشارة القرآن الكريم لجمال الطبيعة.

المبحث الثاني: الطبيعة وأثرها في الشعر.

المبحث الثالث: الوصف غرض من أغراض لشعر

الفصل الثاني: وصف الأزهار في العصور العربية ، احتوى على ثلاثة مباحث أيضاً:

المبحث الأول: وصف الأزهار في العصرين الجاهلي والأموي و أسباب ندرة

وصف الأزهار فيها

المبحث الثاني: وصف الأزهار في العصر العباسي.

المبحث الثالث: وصف الأزهار في العصر الأندلسي.

الفصل الثالث: الدراسة الفنية واحتوى على مبحثين.

المبحث الأول: مفهوم لصورة الفنية

المبحث الثاني: دراسة لنماذج من وصف الأزهار من حيث:

• اللغة والأسلوب.

• الأخيلة والمعاني.

• الموسيقى

الخاتمة:

تحتوي علي النتائج التي توصلت إليها وتوصيات أرجو فائدتها للدارسين"

الفهارس:

وجاءت على النحو التالي:

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- الدوريات.
- فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

وصف جماليات الطبيعة

وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إشارة القرآن الكريم إلى جمال الطبيعة.

المبحث الثاني: الطبيعة وأثرها في الشعر.

المبحث الثالث: الوصف غرض من أغراض الشعر

المبحث الأول

إشارة القرآن الكريم لجمال الطبيعة

أولاً- تعريف الجمال:

جاء في المنجد: جَمَلٌ جَمَالاً أي حَسُنَ خَلْقاً فهو جميل وهي جميلة ^(١). وفي لسان العرب لأبن منظور - الجمال مصدر الجميل والفعل جمل وقوله عز وجل: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} ٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ^(٢)، أي بهاء وحسن ، قال ابن سيدة: (الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق. والجمال بالضم والتشديد من الجميل وجمله أي زينه) ^(٣).

والجمال عند الفلاسفة صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سروراً ورضى... فالجمال إذا خاطر فكري منقول عن الطبيعة كما يرى شيلر وأن الحضارات جميعها تولدت من غريزة حب الجمال. ^(٤)

يقول كروشييه: (إن الجمال هو الحدث وإنما الحدث نشاط وفاعلية تجري في العقل الإنساني وهو منتج للصور كثمرة للانفعالات والصور الخيالية وبفضل الانفعالات تتحول الصور إلى تعبير هو قوام كل فنون فالجمال هو التعبير الموفق، والقبح هو التعبير المخفق) ^(٥).

فالجمال إدراك للعلاقة التي يستجيب لها الإنسان في شتى العناصر سواء كانت متوافرة أي من صنع الخالق الأعظم ، أو كان الإنسان الفنان هو الذي صاغها في قوالب مختلفة من الفن التشكيلي والعمارة والموسيقى ، والشعر والغناء والقصة والمسرحية.

(١) المنجد في اللغة والأعلام- مادة- جمل- ص: ١٠٢- دار المشرق- بيروت- لبنان، ١٩٦٠م.

(٢) سورة النحل: الآية: ٥-٦.

(٣) ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري - لسان العرب- مادة جمل - ص ١٨٥- حققه عبد الله علي كبير وآخرون- دار المعارف- مصر.

(٤) ترجم عن جون فريقل، محمد مفيد الشوبالي: الأدب والفن في ضوء الواقعية- ص ١٢٦- دار الفكر العربي- القاهرة- ط. د. ت.

(٥) ميرة مطر : فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها- ص ٩٤- دار قبا للطباعة والنشر- القاهرة- ط ١-

وإدراك الجمال يتضمن تعميقاً على سائر الأشياء طبيعية أو مصنوعة والذي يجعل الشيء جميل مجموعة من الخصائص المتنوعة والجمال مهر حضارة الإنسان ورقيه (١) .

والجمال سمة بارز من سمات الوجود .. إن لم تكن أبرز سماته، والحس البصير المتفتح يدرك الجمال من أول وهلة وعند أول لقاء.

ثانياً - إشارة القرآن إلى جمال الطبيعة:-

القرآن الكريم يشير في آيات متعددة إلى جمال الطبيعة ويدعو الإنسان إلى الرؤية الجمالية ليستمتع بخلق الله في السماوات والأرض وفي الطير وفي الأنعام (٢) ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (٣)

والله سبحانه وتعالى يؤكد المعنى في موقع آخر يقول جل شأنه: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) (٤) ويشير إلى الجمال الذي كسا الأرض فيقول عز وجل: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (٥)

ويقول جل وعلا: (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا {٢٧} رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا {٢٨} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا {٢٩} وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا {٣٠} أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا {٣١} وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا {٣٢} مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِالْأَنْعَامِكُمْ) (١)

(١) د. محمد بيومي : تربية الذوق الجمالي ص: ١٦-١٧-دار المعارف ، مصر، ١٩٦٦م

(٢) المرجع نفسه ص: ١٦-١٨ .

(٣) البقرة: الآية: ١٦٤ .

(٤) آل عمران: الآية: ١٩٠ .

(٥) الكهف: آية: ٧ .

ويقول تعالى: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}٥{ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ}٢{)

يقول الجاحظ بن كثير في تفسير الآية: "يمتن الله تعالى على عباده بما خلق من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم و... وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع ومالهم من الجمال والزينة ولهذا قال تعالى: (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ}٣{)

إن كل ما خلق الله فيه المجال للإنسان الذي يحتاج أن يبصر ما حوله ليدرك قدرة الخالق ويحي عظمته ويحس جمال الخالق. (٤)

والذي يلفت النظر حقاً ليس هو مجرد ذكر الطبيعة في القرآن وإنما الذي يلفت النظر هو أنه لا يكاد يوجد غرض من أغراض التعبير في القرآن لم تستخدم فيه الطبيعة لإحيائه في النفس وتوسيع مساحة الحس.. فهو يعبر بمشاهد الطبيعة عن (المعاني) النفسية والفكرية والاجتماعية، والتي لا يخطر على بال بشر أن يستخدم الطبيعة للتعبير عنها وتوضيحها فالإنفاق عن مخادعة ورياء، والإنفاق عن صدق وإخلاص لا يصفها باللفظ المباشر المجرد، وإنما يرسم لوحنتين من مناظر الطبيعة الحية المتحركة. (٥)

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}٢٦٤{ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِْبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}١{)

(١) النازعات: الآيات: ٢٧-٣٣.

(٢) النحل: الآية: ٥-٦.

(٣) ابن كثير: الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير- تفسير القرآن العظيم- ٢٦٦- حقق أصوله ووثق نصوصه وخرج أحاديثه طه عبد الرزاق سعد - المنصورة- مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع- ج٣- ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

(٤) د. محمد بيومي: تربية الذوق الجمالي- ص ١٩- كرجع سابق.

(٥) محمد قطب: مناهج الفن- ص ٢٢٤ دار الشروق- بيروت ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

(١) البقرة: ٢٦٤-٢٦٥.

ثالثاً - النباتات في القرآن الكريم:

لقد وردت النباتات والحب والزرع والخضروات ومنتجاتها من بقول وعدس وبصل وخردل وذكر لأجزاء النبات مثل الورق والطلع والأزهار والسنابل في (١١٢) آية في (٤٧) سورة، وذكرت (١٦) نبتة في القرآن الكريم مثل قوله عز وجل: (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٢)

والنبات هي أول الكائنات على وجه الأرض ولها أهمية كبيرة لاستمرار الحياة ، فالنباتات دقيقها وعظيمها هي المخلوقات التي حباها الله جلّت قدرته إمكان الإفادة (٢) قال تعالى: (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ) (٣)

قال تعالى : (فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ {١١} وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) وفي قوله تعالى: (فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ) (٤). يقول تعالى في الكافور: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) (٥). وردت في تفسير الآيات الأولى : (كون الأرض موضوعة لمنافع الأنام وتفضل المنافع العائدة على البشر و(الحب) هو ما يتغذى به كالحنطة (ذو العصف) وهو ورق الزرع والرياحين قيل هو الرزق. فيها ما يتلذذ به من الفاكهة). وأورد أبو السعود في تفسير الآية الثانية هي : (الزجاج إذا كانت فيها خمر، أي تمزج به كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده). (٦)

(٢) الأنعام: الآية ٩٩.

(٣) أ.د. جمال الدين حسن مهران- نباتات في القرآن الكريم - ص ٢٥-٢٦ مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة.

(٤) الصافات: الآية: ١٤٦.

(٥) الرحمن: الآية: ١١-١٢-٦٨.

(٦) الإنسان: الآية: ٥.

(٧) أنظر : العلامة أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- ص ٦٦ ، ٨٠- دار الفكر - بيروت - ج ٥ - د.ت.

تفيد الآية أن شراب الأبرار في الجنة ممزوج بالكافور وقد كان العرب يمزجون كؤوس الخمر حيناً بالزنجبيل زيادة في التلذذ والكفور شجرة معمرة جميلة المنظر.^(١)

فقد جاء ذكر العديد من أسماء النباتات في القرآن الكريم : كالنخل والتين ، الورد ، الرمان ، العنب ، الريحان ، الخردل ، البلح ، الزنجبيل ، البقول ، الثوم ، البصل ، العدس والسدر .

واختلف المصنفون في بعض المعاني للأسماء الواردة في القرآن الكريم فمن قائل إن الورد بمعنى اللون الأحمر ، والدليل أن الفرس الحمراء تسمى "ورداً" وكذلك "الريحان" فبعضهم تقول إنه ربما كان المقصود بالكلمة هي الرزق ، وأيضاً "الطلح" ويفسره البعض بشجرة الموز .^(٢)

يقول تعالى : (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَّعِيمٌ)^(٣)

وقد جاء ذكر الرمان في القرآن الكريم في العديد من المواقع وزهرته تدعى الجلنار قال تعالى: (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ)^(٤) ، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)^(٥)

والورد من لأقدم الزهار التي اهتم الإنسان بزراعتها بعضها تتسابق جمالي بعضها اقتصادي ، وقد جاء ذكر الورد في القرآن الكريم سورة الرحمن : (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)^(٦)

(١) د. جمال الدين حسن مهران : نباتات في القرآن الكريم - ص ٢٥ ، ١٦٠ - مرجع سابق .

(٢) حسن مصطفى حسن : النبات والحيوان في القرآن الكريم - ص ١ - الشؤون الدينية والأوقاف - جمهورية السودان - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(٣) الواقعة : الآية : ٨٩ .

(٤) الرحمن : الآية : ٦٨ .

(٥) الأنعام : الآية : ١٤١ .

(٦) الرحمن : الآية : ٣٧ .

يقول الجوهري: "أي حمراء بمعنى الورد الأحمر وسميت الفرس الحمراء بالورد منذ ذلك ، أما الدهان فقليل أنه الدهن تتكون حمراء بلون الزيت والله أعلم" .
والرسول ﷺ كان قدوة رمزية كبيرة لتأمل جمال الطبيعة، فخروجه إلى جبل حراء ومكوته به ساعات وأياماً وليالي، يتأمل الدنيا من هذا المكان الشاهق، حتى نزل عليه الوحي إنما كان في الحقيقة يخرج بنفسه نأياً عما هو جار حوله في مكة في ذلك الوقت إلى رحاب الطبيعة ، ولا ريب أن من فوق هذا الجبل تظهر الطبيعي من سماء ووديان موضعاً للتأمل. (١)

وعليه يجب علينا أن نتذوق الجمال في الطبيعة وحتى في المأكول والمشرب وفي كل حركة من حركاتنا ، وفي كل عادة من عاداتنا ننمي الإحساس بالجميل فينا.

ولما كانت النباتات والورود والأزهار والرياحين مبعثرة حولنا في كل مكان وفي تناول كل يد ، كانت من أبسط الأشياء وأسهلها مادة تتذوق منها الجمال لتجد النفس البشرية بهجة وراحة ومنتعة ، فالأزهار تخلق أحاسيس عامة تنفر من كل شيء غير متجانس أو منسجم ، ومثل هذه الأحاسيس تعين في وضع الأشياء والأمر في موضعها اللائق المناسب.

وكما أن الثمار غذاء البطون ، فالأزهار غذاء للنفوس المتعبة، وراحة للأعصاب المرهقة، وواحة النفوس المجهدة فالحكمة الصينية تقول: (إذا كان لديك رغيفان فبع إحداهما لتشتري بثمنه ورداً وزهراً) (٢)

وفي هذا يقول د. محمد قطب: (القرآن كتاب دين ولكن على المفهوم الإسلامي للدين الذي شمل كل جوانب الحياة ، وهو يستخدم التربية كوسيلة ممكن أن ينفذ بها إلى منافذ النفس المتلونة ومساربها الخفية والجمال من أوسع المنافذ إلى النفس تهش له بفطرتها، روحها بروحه في إخوة واستجابة واشتياق - وجمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال التي تهش بها النفس وتستجيب لها في فرحة وانطلاق...) (٣)

(١) د. محمود بسيوني : الفن في تربية الوجدان - ص: ٢٣ - دار المعارف - مصر - ١٩٨١ م.

(٢) د. عو الدين فراخ: نباتات الزينة وطرق تنسيقها في الحدائق - ص: ٣-٨ - دار المعارف - مصر - ١٩٦٨ م.

(٣) د. محمد قطب مناهج الفن - ص: ٢١٢ - مرجع سابق.

فكرة الجمال تتضح وتتنوع وتنمو بفضل ما يبدعه الفنان حيث يصبح كل إبداع بمثابة رفع الجمال درجة وكشف عن أحد وجوهه.^(٢)

فالجمال يُرى في كل شيء إذا كان متناسقاً سواءً كان وجه امرأة ، أم حيوان بري مفترس أو زورق شرعي يدفعه الريح فوق بركة ماء ، أم فكرة حياة الجمال يدرك في المعنويات في صياغة الألفاظ ، والأنغام والأصوات والحركة فالجمال تعميم ينحقق من خلاله إدراك جودة العلاقات المريحة للبصر ولسائر حواس الإنسان ، بل الجمال هو الذي يضفي على الإنسان إلى آفاق التأمل والاستبصار في الكون الذي يعيش فيه وفي خالقه.^(٣)

يقول محمد زغلول سلا في كتابه - النقد الأدبي الحديث -: (الجمال شيء كامن في النفس فيه الأحاسيس والشعور وفيه الحياة والطبيعة وفيه من القيم الإنسانية ولكنه لا يقصر على شيء محدود، أو هو ظاهرة طبيعية أو الدعوة الإنسانية ولكنه لا يقصر على شيء محدود ، أو هو ظاهرة طبيعية أو الدعوة إلى فضيلة أخلاقية أو النهي عن رد له النفع الظاهر أو الخفي في شتى صوره ، وإما تعمل هذه الأشياء أو القيم الإنسانية في الفن للتعبير عن الحقيقة الجمالية)^(٤) تبين من ذلك أن الجمال سر الفنون ... وسمة الحياة... واستراحة الدنيا تحيا فيه العبقورية ويسبح في أضوائه الفن ويجد المجتمع به متعة وهناء.

وللنباتات قيمة جمالية بالإضافة إلى فوائدها الأخرى فنحن نجتمع هذه القيم الجزئية ونطلق عليها الجمال فنلاحظ أن النباتات المختلفة تدخل علينا البهجة والسرور فالجمال قيمة غير ملموسة يمكن قياسها أو وزنها ، فالجمال قيمة حسية، فالشيء يكون جميلاً حينما يقرر أحد ذلك ، والذي يستطيع أن يضع هذه القيم الجمالية هو الفنان وأن آراء الناس تختلف في ما هو الشيء الجميل ذلك لاختلاف تراثهم الثقافي.

(٢) ت جان تريملي: ترجمة أنور عبد العزيز - بحث في علم الجمال - ص ٥ - مراجعة د. نظمي لوقا - مؤسسة فراكين للطباعة والنشر - مكتبة النهضة - القاهرة - مصر - د. ط - ١٩٧٠ م.

(٣) د. محمود بسيوني : الفن في تربية الوجدان - ص: ٢٣ - مرجع سابق.

(٤) محمد زغلول سلام: النقد العربي الحديث أصول واتجاهات رواه - ص: ١٧ - منشأة المعارف - الاسكندرية - مصر - د. ت.

والإحساس بالجمال يتوقف على رؤيتنا لتلك الأشياء التي تبعث الجمال ذلك كثير من إدراكنا الحسي مكتسب. ومعظم النباتات ذات قدرة على تنشيط الإحساس البصري^(١) ولا شك أن هناك حاسة في باطن النفس تقطن للجمال وتحسه وتستجيب له ولكنها لا تحس ولا تقدر وإنما تدركه بدهشة بغير تفكير.. على طريقة الروح في الإدراك لا على طريقة الذهن ذي الأبعاد والمقاييس. وتلك من عجائب الله المعجزة.. أن يهب له هذه الموهبة الفذة التي تتجاوب مع روح الكون العميقة ، كما تخفق العين للضوء، وتخفق الأذن للأصوات^(٢).

والجمال متنوع متعدد، وما يمكن أن تستخلصه بيننا وبينه من أعماق الذات لقاء إيجابي يغمر النفس ارتياحاً يثير فيها شعوراً بالسمو يحدث هذا اللقاء بصورة تلقائية تكون فطرية أمام الطبيعة، وكذلك أمام الحياة كمشهد مداعبة الأطفال وحتى الحيوانات الصغار^(٣).

وأرى أن الدكتور محمد قطب أصاب حينما أشار في حديثه عن الجمال في التصور الإسلامي إلى أن الجمال الأكبر يستمد من ناموس الكون، هو الذي ينبغي أن تمارسه الفنون الإنسانية الرفيعة التي تتجاوب تجاوباً صحيحاً مع حقيقة الوجود.

(١) جانيك: علم البساتين - ص: ٥٤١، ٥٩١ بتصرف - الدار العربية للطباعة والنشر - بيروت.

(٢) د. محمد قطب : المناهج الفن الإسلامي - ص: ١٢٥ - مرجع سابق.

(٣) المجلة العربية للثقافة: مجلة نصف سنوية - ص: ١٧٢ - السنة التاسعة - المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون - العدد السابع عشر، ١٩٨٩م.

المبحث الثاني

الطبيعة وأثرها في الشعر

أولاً- تعريف الطبيعة:

يقول محمد بيومي: (الطبيعة من المصطلحات التي ترد في عالم الجمال، لكنه مصطلح يحتاج إلى المادة التعريفية به، فالمعنى الأصلي للطبيعة هو: كل ما خلق الله يدخل في ذلك الإنسان نفسه ، وما خلق الله يشمل السماوات والأرض والجبال، والأزهار والأشجار والدواب والطيور والحشرات والأسماك والزواحف... فالطبيعة تعني شيء لا حدود له في إدراك الكون، يحاول العلماء بتخصصاتهم المختلفة أن يشرحوا قوانينها ونظمها.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات بينات تذكر الإنسان بقدرة الخالق في بناء هذا الكون وخلق الطبيعة وتدعوه إلى الروية والإدراك^(١)

يقول جل شأنه: (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا {٢٧} رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا {٢٨} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا {٢٩} وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا {٣٠} أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا {٣١} وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا {٣٢} مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)^(٢)

وقوله سبحانه وتعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ {١٠} يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)^(٣)

ثانياً- الطبيعة والشعر:

منذ قامت العبقورية في الدنيا سعى الفنان إلى الطبيعة حب وإعجاب ونشوة وذهول فسكر بجمالها، وانتشى بمحاسنها واتخذها مثلاً يحتذيه بصورة ويقلده بالأصوات والألوان، فكان النحات والموسيقي والشاعر، كل عمد إلى الأرض والسما والحيوان والنبات والإنسان والماء، يرسمها بخياله ويفها بفنه والشاعر العربي

(١) محمد بيومي: تربية الذوق الجمالي - ص: ٩١ - مرجع سابق.

(٢) النازعات : الآية ٢٧-٣٣.

(٣) النحل: الآية ١٠-١١.

فنان مبدع رسم ما رأي وصور ما شاهد ، ووصف ما أحس.^(١) وموضوعات الشعر كما قالوا ثلاث: الله ، الطبيعة، الإنسان^(٢)

فمنذ القدم وصف الشاعر العربي الطبيعة وأحبها ، ولكنها لم تتميز حين ذاك كفن شعبي قائم بذاته، ومع هذا فقد بدأ على وصفهم للطبيعة الشقف بها وبظواهرها، فوصف الشاعر الليل وشبهه بموج البحر، ووصف طولها وأنه لا يتزحزح وكأن نجومه شدت بحبال متينة إلى متينة.. ووصف البرق والغيث وبدأت فتنته به، والوقوف على الأطلال، وهو كظهر من مظاهر وصف الطبيعة الذي يتجلى فيه البث، والشكوى، والتجاوب مع البيئة الطبيعية^(٣)

إذن شهر الطبيعة هو الشعر الذي يتخذ من عناصر الطبيعة الحية والطبيعة الصامته مادته وموضوعاته وقل أن خلو أدب أمة من شعراء أحبوا طبيعة بلادهم ، وتغنوا بها في أشعارهم تعبيراً عن انفعالهم بمشاهدها، وتمجيداً لها وإظهار لمدى قدرتهم على التصوير ، ولم يخل من شعراء تطرقوا في شعرهم إلى وصف كل ما وقع عليه حسهم، في مشاهدة الطبيعة في بيئتهم وعصورهم المختلفة وفيهم من غلبت عليه الإجابة في وصف أشياء معينة أكسبتهم خصوصية فيها واشتهاراً بها^(٤).

والطبيعة توحى للشعراء في كل عصر بكثير من المعاني والآثار الأدبية الرائعة، وقد افتنن بها الشعراء وصوروها صوراً تجمع غالباً بين صدق الأداء وبراعة الوصف ، وإظهار الحقائق ، وحرارة الإحساس - صورها شعراء الإغريق خاصة (هوميروس) في إلياته، كما صورها الشعراء الجاهليون في قصائدهم وإن خلت من مظاهر التنوع والكثرة لكنها صور صادقة لتلك البيئة^(٥)

(١) فنون الأدب العربي - الفن الغنائي - الوصف - ص: ٥ - يشترك في وضعه عدد من أدباء الأقطار العربية - دار المعارف مصر.

(٢) سيد نوفل: الطبيعة في الأدب العربي - ص: ٢٤ - دار المعارف - مصر - ج ١ - ط ١ - ١٩٩٣ م.

(٣) د. رشدي علي حسن : الطبيعة في العصر العباسي الثاني - ص: ١٦٠ - مؤسسة الرسالة - بيروت - دار عمار - ط ١ -

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

(٤) د. عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس - ص: ٢٨٤ - دار النهضة العربية - بيروت - د. ط. د.

(٥) محمد عبد المنعم خفاجة: ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان - ص: ١٩٣ - ١٩٤ - دار الجبل - بيروت - ط ٢ - ١٤١١ هـ -

١٩٩١ م.

ثالثاً - الشعر الجاهلي والطبيعة:

شاعرنا العربي القديم كان شاعر الطبيعة، يتأملها ويبثها آلامه، وينسى عندها أشجانه ويهيم بها ويفتنن بآيات الجمال فيها، ثم يصورها كما تمثلتها نفسه، ها هي ذي أطلال تثير شجونه، وتلك ناقتة وبعيره، وفرسه تمتلك عليه فؤاده وتلك الصحراء تستهويه ببرقها ومطرها وحيوانها ورمالها وآلها.

فقد عاش العربي في جزيرة واسعة تختلف عليها الرمال والأنواء والرياح وتشد عليه الطبيعة وتقسو وكان ينتقل في سبيل العيش فيجتاز مسافات كبيرة ويخترق صحاري شاسعة وهناك صور رسمتها أخيلتهم لكل شئ وقع تحت بصرهم^(١).

فالتبيعة طبعَت الشاعر الجاهلي بطابعها ووسمته بسماتها فالرجل الذي يعيش في الصحراء يَألف منظرها ويَأنس كواسرها وقد يعشق بعض حيواناتها فيجد منها أصدقاءه يستدينها بصورته الذي يشبه صوتها ويتألفها بلونه الذي يقارب لونها...وهذا شاعر يقول:

عوى الذئب فستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان وكدت أطيّر من الجوى^(٢)
فإذا جاوز الصحراء إلى إقليم حضري يكسوا الخصب حقوله ثياباً من
الأشجار الباسقة والأزهار رأيت في ألفاظهم رقة وفي معانيهم خيالاً مركباً.

قال المنخل اليشكري نديم النعمان وسميره والنعمان ملك الحيرة:

ولقد دخلت على الفتاة	ة الخدر في اليوم المطير
الكاعب الحسناء تر	فل في الدمقس وفي الحرير
دفد،،عتها فتدافعت	مشي القطاة إلى القدير
وعطفتها فتعطفت	كتعطف الظبي الغرير ^(٣)

(١) فنون الأدب العربي: الوصف - ص ٩-١١ - مرجع سابق.

(٢) سيد موفل: الطبيعة في الأدب الجاهلي - ص: ٨، ٢٤، ٣٦ - بتصرف - مرجع سابق.

(٣) المنخل اليشكري: المنخل بن عامر، من بني يشكر - وهو قديم جاهلي - انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء - ص: ٣١٧-٣١٨ - دار الثقافة - بيروت - ط ٤ - - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - المرجع نفسه ص: ٤، ٣٦، ٢٤.

إن الحضارة التي كان يحيا فيها والبيئة التي عاش بها هي التي دقت شعره حتى لكان الماء القراح سلالة عذبة وهي أوحى إليه بتلك المعاني الرائعة. وقائل هذا الأبيات ملك ابن ملك لكن البيئة التي عاش فيها هي الموحية بالألفاظ والمعاني: يقول امرؤ القيس:

تراثها مصقولة كالسجنجل	مهفهفه بيضاء غير مفاضة
بناظرة من وحش وجرة مطفل	تصد وتبدي عن أسيل وتتقي
إذا هي نصته ولا بمعطل	وجيد كجيد الريم ليس بفاحش
أثيث كغفو النخلة المتعطل	وفرع يزين المتن أسود فاحم
تضل العقاص في مثني ومرسل ^(١)	غدايره مسشذرات إلى العلا

من هذا يتبين أن تأثير الطبيعة في الشعر ، والإنسان بما فطر عليه من حب الطرب والثناء، واندماج مع الطبيعة بغير حاجز ولا حجاب أخذ يردد الأصوات فنجد في تردها متاعاً وعوناً على تحمل وعناء السفر^(٢)

رابعاً- الشاعر الأموي والطبيعة:

في عصر بني أمية نجد أن الشعراء منشغلون بحب الطبيعة والتي يجدون فيها تهدئة لخواطرهم ولواعجهم الملتاعة، فيما يخص ديارهم ورموزها ثم رحلاتهم عبر الصحراء وتجاوبهم مع رموزها الطبيعية والوصف الناتج عن ذلك وما يخلقه من أثر في نفس الشاعر.

يقول شوقي ضيف: (وقد مضى شعراء العصر الأموي -على سنة آبائهم- يستلهمون صحرائهم مزاجين على شاكلتهم من حب الطبيعة وحب المرأة، إذ يفتتح الشاعر غالباً مطولاته بوصف أطلال الديار التي قضى فيها شبابه مع بعض صواحيبه ، ويسترسل في حبه- ولا يلبث أن يتحدث عن رحلته في الصحراء وما قطع فيها من مفارز على ناقته التي يسهب في وصفها لما لها من جمال في نفسه كما يسهب في وصف فرسه أن كان فارساً وهو في ثنانيا ذلك يحدثنا عن كل ما وقع

(١) امرؤ القيس : ابن حجر بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن كندة- انظر طبقات فحول الشعراء-الديوان- ص: ٣٧،

٣٨- حقه: حنا الفاخوري -دار الجيل - بيروت- ط١- ١٩٨٠م.

(٢) سيد نوفل: الطبيعة في الأدب العربي ص: ٨، ٢٤، ٣٦- بتصرف - مرجع سابق.

عليه عينه في وصف صحرائه ويخلق أثراً في ذهنه من طير وحيوان في الأرض
ونجوم وكواكب في السماء. وعلى الرغم من أن جمهور الشعراء لهذا العصر عاشوا
في بيئات مخضرة ، فإن الصحراء لم تجف منابعها في نفوسهم - بل ظلت ملهمهم
الأول في أشعارهم على نحو ما نجد عن مبارزيتهم أمثال الفرزدق والأخطل وجريز.
(١)

فهم يجولون مع الطبيعة ، يصفون المنازل وما تخلفه الرياح والأمطار عليها
ثم يصفون الغمام والبرق والرعد وظهور الكواكب من بين السحاب.
يقول جريز:

منازل قد خلت من ساكنيها عفت إلا الدعائم والثماما
محتها الريح والأمطار حتى حسبت رسومها في الأرض شاما
وجرى بها الكلاكل كل جون أجش الرعد يهتز اهتما
ويزيف ويستطير البرق فيه كما خرقت في الصم الضراما
كأن وميضه اغراب بلق نحاذر خلفها خيلاً صياما
كأن ربابة الضلال فيه نعام جحافل لاقى نعاما (٢)

وما ذلك فلم يخل شعر الطبيعة من شعراء وصفوا الرياض ووقفوا عندها
والأخطل روضته خضراء متفتحة الأزهار ينهمر عليها مطر غزي من سحب أسود
متجهماً كان سبب في تكاثر النباتات فيها حتى إلتف بعه على بعض، فبدأ
كالزخارف الكثيرة الألوان، ولكن هذه الروضة الطيبة النظرة ليست بأجمل من
صاحبة شاعرنا وأمتع من حديثها عندما يقبل عليها العشي:

ما روضة خضراء ازهر نورها بالقهر بين شقائق النعمان
بهج الربيع لها فجاد نباتها ونمت باسحم وابل هطال

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي - ص: ٣٨٦ - دارالمعارف - مصر - ج ٢ - ط ١٧ - ١٩٦٣ م .

(٢) جريز بن عطية الخطفي ولقب بالخطفي لقوله : يرفعن الليل إذا ما أسدفا أعناق جنان وهاما رجفا

وعنقاً بعد الكلاكل خطيفاً

اليوان - ص ٦٧٥ - شرح يوسف عبيد - دار الجيل - بيروت - ط ١ - د.ت.

نفت الصبا عنها الجهام وأشرقت للشمس غب دجنة وطلال
يوما باملح منك بهجة منطق بين العشي وساعة الآصال^(١)
وينعت الراعي النميري روة أمطرتها سحابة مشبها ما ينبعث من ريح طيبة
بما يحمله تجار من الهند حلو رجالهم عندها ومع ذلك فهي أقل من طيب ريح
ثوبي صاحبته سعاد فيقول:

وما مزنة جادت فاسبل ودقها على روضة ريحانها قد تخضرا
كأن تجار الهند حلو رجالهم عليها طروقاً ثم أضحوا بها الغدا
بأطيب من ثوبين تأوي إليهما سعاد إذا نجم السماكين غردا^(٢)
لكن السمعة العامة ان الشاعر الاموي ما يزال متأثراً بالبيئة الصحراوية ، فجاء
شعره نتاجاً لما تعتلّمه نفسه منه ومنا أشباهها فمت عاج كثيراً عن نحو الجاهلي .
وشعر الطبيعة يرمز في كثير للأوضاع النفسية والشعر أسرع الملكات تعبيراً عن
نفس الفرد .

خامساً- الطبيعة في العصر العباسي :

إن شعر الطبيعة في البيئة المشرقية كان وحياً للحياة الاجتماعية والسياسية
كما كان وحياً لهما في غيرها من البيئات وكان نتاجاً لعوامل من شأنها أن تنتج
مثله.

فالعصر العباسي عصر الحضارة والأناقة المتمثلة في كل شيء حتى في فن
والأدب الذي أخذت فيه ظاهرة الاستمتاع بالحياة تغلب على الخاصة والعامة..،
وترى الشعراء يكثرون من وصف الخمر والغلمان ، ويتوسعون في وصف الرياض
المنتشرة في مجتمعاتهم^(٤) وفي مثل ذلك يقول الصنوبري شاعر الطبيعة حين هتف
للناس أن يفتحوا عيونهم وأبصارهم في الربيع ليروا مفاتنه حيث يقول:

(١) الأخطل: غياث بن غوث ، من بني تغلب ويكنى أبا مالك ، انظر / ابن قتيبة- الشعر الشعراء - ص: ٥٥٠- دار المعارف -

مصر - ج ١ - ط ٢ - ١٩٥٨ م. الديوان ص: ٥٥٠- صنفه وكتب مقدماته إيليا سليم الحاوي- دار الثقافة- بيروت- ١٩٦٨ م.

(٢) الراعي النميري؛ حصين بن معاوية من بني نمير؛ وقيل له الراعي لأنه كان يصف راعي الأبل في شعره. انظر: ابن قتيبة الشعر

والشعراء - ص: ٤٥١- مرجع سابق- الديوان ص: ١٠٨- شرح : واضح عبد الصمد- دار الجيل- بيروت: ط ١- ١٤١٦ هـ-

١٩٩٥ م.

(٤) د. ع الدين عتيق: الأدب العربي الأندلسي- ص: ٢٨٧- مرجع سابق.

ياريم ويحك قومي الآن فانظري ما للرى قد أظهرت أعجابها

كانت محاسن وجهها محجوبة فالآن قد كشف الربيع حجابها

ورد يحكي الحدود ونرجس يحكي العيون إذا رأت أحبابها

وكان خرمة البديع وقد بدأ رؤوس الطواويس إذا تدير رقابها^(١)

وللشعراء العباسيين وصف كثير لمظاهر الحياة الصامتة ، أو ما يدخل في حكم

الطبيعة الصامتة كوصف القصور والبرك وغيرها من مظاهر العمران الحضاري،

والطبيعة عندهم إطار مفضل للانشراح مع الإخوان . ثم تقدم الشعراء خطوة فوصفوا

الزهريات والتغزل بها. كقول أبي نواس يصف نرجساً وبهار في مجلس خمر:

يا خليلي قد خلعت عذارى وبدأ ما أكن من أسراري

فاشرب الخمر واستقياني سلفاً عتقت بين نرجس وبهار^(٢)

نلاحظ في الأبيات الصور الحضرية والخيال المدني المترف.. يقول البحتري

حينما وصف الربيع:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز في غسق الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوما^(٣)

لقد انصرف اهتمام الشعراء في العصر العباسي إلى الربيع والرياض والأزهار و الأنهار..

يقول ابن المعتز:

أما نرى بهجات الروض في السحر فوق الندى واتساق الورد في الشجر

إذا السحاب سقاها الدجى خلقت بعد السحاب عليها الشمس في البكر

والروض من زهر زاه لنضرته وكامل منه في الأغصان منتظر

حسبي من الورد توريد الخدود كما وحسبي بشره محسود من البشر^(٤)

(١) الصنوبري أبو بكر أحمد بن محمد الحسن الضبي، ولد بأنطاكية وعاش بطلب مع شعراء سيف الدولة ، توفي سنة ٣٣٤هـ عن خمسين سنة . انظر: أحمد حسن الزيات-تاريخ الأدب العربي - ص٩٧- الديوان ص: ٤٥٤ تحقيق : إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت - ١٩٩٠م.

(٢) أبو نواس: الحسن بن هاني ، يكنى بأبي نواس لأن خلف الأحمر كان له ولاء باليمن وكان من أميل الناس إلى أبي نواس فكنى بأسماء الذوي (وهم الملوك الذين ابدأ أسماؤهم بنو) أنظر: شوقي ضيف - تاريخ الأدب العربي - م نهضة مصر - اليونان ص: ٢٦٥- دار صادر - بيروت.

(٣) البحتري أبو عبادة عبدالطائف، ول في منبج (بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦هـ- الديوان - ص: ١١- حققه وشرحه حسن كامل الصيرفي- دار المعارف- مصر- ج١- ١٩٦٣م.

(٤) ابن المعتز؛ أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز (٢٤٩-٢٩٦هـ) قتله المقتدر ولم يتبوأ العرش إلا يوماً وليلة، انظر: أحمد حسن الزيات- تاريخ الأدب العربي - الديوان - ص: ٣٥٩- شرح : د.شكري فرحات- دار الجبل- بيروت - ١٩٩٥م.

كان للتطور الحضاري- الذي عم الحياة ولون كل جوانبها- أثر في تهذيب الذوق العام ، وصقله وإرهافه ما أبعد الشعر في هذا العصر - إلى حد كبير- مما يمت بصلة إلى الصحراء ومعالمها، وعن كل ما أصبح غريباً عن الحياة الجديدة. وأصبح شعر الطبيعة حضرياً إلى حد بعيد ، يعنى بمظاهر الحضارة من أناقة في المظهر وتناسب بين الأجزاء وبعد الصورة البدوية وبيئة العراق السهلية النهرية وما انتشرت على سهلها وحافات أنهارها من رياض وبساتين وما تخلل تلك المناطق من دور السمر والشراب والسماع وفرت للشعراء مادة خصبة ليرسموا صوراً شعرية جميلة تتلاءم مع هذا الواقع الحضاري.

ساساً- الشاعر الأندلسي والطبيعة:-

إذا كانت الطبيعة بمعطياتها الجديدة من رياض وحدائق ونواعير وبرك أثرت في الشاعر العباسي وألهمته فأتى بالمعاني الجديدة والأساليب الرقيقة السهلة الرشيقة فالشاعر الأندلسي فاق أخيه في المشرق تأثراً بالطبيعة وتنوع في الموضوعات وتوسع فكان أكثر براعةً وابتكاراً ودقةً وتصويراً.

ومرجع ذلك طبيعة الأندلس هذه الطبيعة الرائعة الخلابة التي عبرت فيها الأرض عم نفسها أجمل تعبير ، بما أخرجته على سطحها ونثرته في شتى أرجائها من طيب التربة وخصب الجنب، ومن الأنهار الغزار والعيون العذاب ومن البحر والبحر والرعد والسهل ومن الحقول والبساتين الحدائق والرياض، ومن الاعتدال الغالب فيها على الهواء والجو والنسيم وعلى الربيع والخريف والمشتى والمصيف ومن المدن الحصينة والقلاع المنيعة ثم من ابيضاض ألوان الإنسان ونبل الأذهان وشهامة الطباع فهذه البقعة الكريمة من الأرض تأسر الطرف وتستهوئ الأفئدة وتثير المشاعر والعواطف والخيال فكان لها الأثر القوي في رهافة حسهم وصفا أخيلتهم، فمن كل هذه المحاسن التي حبت بها الطبيعة بلاد الأندلس هي المصدر الأول، استلهم الشعراء واستمدوا منه الفيض الزاخر من أغاني الطبيعة^(١)

(١) د. عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس - ص: ٢٩١-مرجع سابق.

هذه المحاسن جعلت أبا اسحاق إبراهيم بن خفاجة يهتف بجمال طبيعتها قائلاً:

يا أهل أندلس الله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار

ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذا كنت أختار

لا تخشوا بعد ذا أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار^(١)

ومن المعاني الحديثة في وصف الطبيعة قول بن هاني وفيه يربط بين الطبيعة والخمر على طريقة المحدثين الخالصة:

وليل بت أسقيها سلافاً معتقة كلون الجنان

كأن حباتها خرزات در علت ذهباً بأقداح النضار^(٢)

وقوله في الأوان الورد والنرجس والياسمين:-

وثلاثة لم تجتمع في مجلس إلا لملك الأديب أريب

الورد رامشة من نرجس والياسمين فكلهن غريب

فكأن هذا عاشق وكأن ذا معشوق وكأن ذلك رقيب^(٣)

وكيف تكفي المعاني القديمو، وعربي الأندلس قد كملت الحضارة في بيئته وبعد العهد بينه وبين البداوة...؟.

هم يطالعون الطبيعة كما أبدعها الله في الحقول وفي الرياض ، يطالعونها

مجلوة في القصور والمساجد والبرك والأحواض فيكمل تذوقهم لجمال الطبيعة^(٤)

فقد كان وصف الطبيعة ابتداء نوعاً من الاحتذاء لبعض أشعار المشاركة

لكن الأندلسيين تميزوا بالإكثار من وصف الأزهار ولم يقتصر هذا الميل الحضري

للأزهار بل شمل الرسائل النثرية كما نظموا مقطوعات قصيرة في صنوف الأزهار-

بعضها يمثل (بطائق المهادة) بين الأصدقاء وليس لديهم غاية سوى وطلب

(١) ابن خفاجة؛ أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي، ولد بمدينة أشقر ، سنة ٤٥٠هـ، كانت عيشته عيشة الفنانين طليق الإيثار وهب نفسه للجمال توفي في مسقط رأسه ٥٣٣هـ انظر: احمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي - ص: ٣٣٩- دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة - الديوان - ص ١١٧: دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - د. ط - ١٩٦١م.

(٢) ابن هاني الأندلسي ؛ أبو القاسم محمد بن هاني ولد بإشبيلية في زهرة العهد الأموي (٣٢٦-٣٦٣هـ) كان ماجناً خائفاً صاحب لهو وخمر، وكان زكي الفؤاد فكه الأخلاق، جم الأدب، صريح القول والفعل ، أنظر: أحم حسن الزيات- تاريخ الأدب العربي - ص: ٣٢٤- مكتبة النهضة العربية - بيروت - ١٩٧٠م . الديوان - ص : ١٧٤- دار اد - بيروت - ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(٣) المرجع نفسه: ص ٥٨. الرامشة هو ورق آس به رأسان.

(٤) د. سيد نوفل : الطبيعة في الأدب العربي - ص: ٢٥٤- مرجع سابق.

الصورة المبتكرة ^(١) ومن الشعراء الذين شدتهم طبيعة الأندلس وتأنقوا في تصويرها ابن خفاجة الأندلسي وهو يصف أريكة في روضة قائلاً:

وأراكةً ضربت سماء فوقنا تتدي وأفلاك الكؤوس تدار
حفت بدوختها مجرة جدول نثرت عليه نجومها الأزهار
فكأنها وكأن جدول مائها حسناء شد بخصرها زنار
زف الزجاج بها عروس مدامة نجلي ونوار الغصون نثار
في روضة جنح الدجى ظل بها وتجسمت نواراً بها الأنوار
غناء ينشر وشيه البزاز لي فيها ويفاق مسكه العطار
قام الغناء بها وقد نضح الندى وجه الثرى واستيقظ النوار
والماء من حلي الحياء مقلد ذرت عليه جيوبها الأشجار ^(٢)

وهذه قطعة مرحة من الوزير أبي عامر بن مسلمة جعلها مقدمة لقصيدة في مدح القاضي ابن عباد:

وروضة مشرقة بكل نور مجتني
فيها بهار باهر ونرجس يشكو الضنى
وياسمين أرضه ونورة تلونا
باليل مخضراً ولك ن بالنجوم زينا
فاجتنت ورداً وارداً وسوسناً ملسنا
وحوله نيلوفر فتنة ران إن رنا
تخاله مضارباً من المها تروقنا
والآس آس كاسمه بنوره قد حنا
تنويره جواهر من غير بحر تقنتي
وحبة من سبخ أو سندس قد لونا
وأرضه مطارف خضر أتننا بالمنى

^(١) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين - ص: ١٩٣، ١٩٧ بتصرف - دار الشروق للنشر - بيروت - ط ١ - ١٩٦٢ م.

^(٢) ابن خفاجة: الديوان - ص: ١١٩ - ١٢٠ - دار صادر - بيروت.

طابت بطيب ماجد فاق سناء وسنا (١)

فالبينة هي من أعظم العوامل المؤثرة في الأدب بل هي واقع أمره وبقوة وقعها تعتبر الخالقة لبعض فنونه المكونة لأكثر عناصره، فهي تخلع عليه جميع ألوانها وتهب له كل مظاهرها، بل هي تحرمه ما حرمته وتمنعه ما منعه ليس ذلك شأنها مع الأديب أو مع الإنسان فحسب بل هو شأنها مع الحيوان يتلون بلون بيئته التي يعيش فيها - ويتكون بتكوينها فيبدو مثلاً أصفر اللون صلب الأعضاء ضامر الجسم شرس الطبع - إذا كان يعيش في صحراء فهي التي خلعت عليه صفرة رمالها ، فإذا ترك الصحراء إلى إقليم ساحلي خصب وجد لوناً أبيض وجسماً رياناً ممتلئاً وطبعاً هادئاً، وإذا كان تأثير البيئة في الحيوان فما بالها في الإنسان؟ (٢)

ويؤكد ذلك الخوفي بقوله: (الشاعرية كالحياة الكامنة بنوعيتها كالترية الخصبة، والجو الملائم والماء المحيي، واليد الراعية ، فإذا ما تعاونت عوامل الإنبات انشقا البذرة عن نبات يسمو ويورق ويزهر، إذا ما توفرت الموهبة والبيئة تفننت القرائح عن الشعر الرفيع الخالد (٣)

وتكون البيئة هي موضوع الشعر سواء في ذلك البيئة الحية المتحركة كالخيل والإبل والغزلان . أو البيئة الثابتة المتحركة: كالنخل والنبات ، أو البيئة غير الحية كالصخور والرمال والمطر، فالشعر وليد البيئة الطبيعية وحدها متأثراً بها إلى مدى بعيد ومتأثراً بالبيئة الاجتماعية (٤)

(١) نقلاً عن د. إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين - ص: ١٩٥ - دار الثقافة بيروت - ط ٥ - ١٩٧٨ م.

(٢) سيد نوفل: الطبيعة في الأدب العربي - ص: ٨، ٢٤، ٣٦ بتصرف - مرجع سابق.

(٣) أحمد محمد الوفي: أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي - ص: ٣١٥ - مكتبة النهضة - مصر، القاهرة - ج ١ - ط ١ - ١٩٥٨ م.

(٤) المرجع نفسه: ص ١٧٢.

ومن ذلك يبدو واضحاً أثر البيئة في نفسية الشاعر فالشاعر الجاهلي عبر عن الطبيعة من خلال البيئة البدوية وعندما انتقل إلى كدن وعرف الحضارة ونعيم الحياة وتترف القصور وجمال الرياض وعطر الأزهار أتى بشعر جديد في المعنى والأسلوب يناسب البيئة وطبيعتها.

المبحث الثالث

الوصف غرض من أغراض الشعر

أولاً- الوصف لغة واصطلاحاً:

الوصف لغة: وصف الشيء وصفاً نعتاً بما فيه ، ووصف الثوب الجسد أظهر حالته وبين هيئته وفي حديث عمر في الثوب الرقيق: (ألا يشف فإنه يصف) فهو واصف فالوصف بهذا المعنى الكشف والإظهار .^(١)

الوصف اصطلاحاً: الشعراء تعرضوا للوصف بوصفه غرضاً شعرياً ولم يصطلحوا عليه اصطلاحاً دقيقاً، فقد ذكر النقاد والأدباء أكثر من مدلول ومعنى للوصف كل حسب رؤيته الفنية.

يقول قدامة بن جعفر: " إن الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء الحركية من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهر صافيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله الحسن تبعته" ^(٢)

والوصف من أدق موضوعات الشعر التي لا ينهض إلا نافذة البصيرة صافي الذهن دقيق الإحساس.^(٣)

وأغراض الشعر هي فنونه التي يقول فيها الشعراء من مدح وفخر ورثاء ووصف وعزل وحكمة وغيرها من الموضوعات التي نظم فيها الشعراء النوع الغنائي الذي يتغنى فيه الشاعر بعواطفه ويصف مشاعره.

(١) امعجم الوسيط مادة - وصف - ص: ١٠٣٦- مجم اللغة العربية - القاهرة - ج ٢ - ط ٢.

(٢) أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد: نقد الشعر - ص: ١٢٤- تحقيق: كامل مصطفى - مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٩٣ م.

(٣) محمد عبد المنعم خفاجة، د. صلاح عبد التواب- الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام- ص: ١٤٠- مكتبة الكليات الأزهرية- د. ط- د. ت.

ولكما كان الشعر العربي مبعثه الاستجابة لأحاسيس النفوس من حب
وبغض أو موت عزيز أو اغتراب خل وفي، فقد تنوعت أغراضه وتشعبت فنونه.^(١)
قد فطنوا إلى أن الشعر وليد انفعال أو باعث نفسي ما قد يكون الغضب ،
أو الطرب أو الرهبة أو أي مثير خارجي سواء كان ساراً أو مؤلماً^(٢)
يقول ابن قتيبة: (وللشعر دواع تحت البطيء وتبعث المتكلف منا الطمع
ومنها الشوق منها الشراب ومنها الغضب).^(٣)

وللعاطفة دور في تقسيم أغراض الشعر ، وارتباط وثيق الشعر من مجمله
ولها عدها النقاد ملكة من ملكات الشعر فقد كر بن رشيق أنهم قالوا: (قواعد
الشعر أربع: الرغبة، الرهبة، الطرب، الغضب. فمن الرغبة يكون المديح والشكر
ومن الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومن الطرب يكون الشوق ورقة النسيب
ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع).^(٤)

ولعل أول من تعرض لتبويب الشعر أو تقسيمه هو أبو تمام (ت. ٢٣٢هـ)
فقد تعر لأغراض الشعر في كتابه "الحماسة" يقول شوقي ضيف: (لعل أقدم من
حاولوا تقسيم الشعر العربي جاهلياً أو غير جاهلي إلى موضوعات ديوان هو أبو
تمام المتوفى سنة ٢٣٢ هـ فقد نظم في عشرة موضوعات هي: الحماسة، المراثي،
الأدب والنسيب، الهجاء والأضياف ومعهم المديح والصفات والسير النعاس والملح
ومذمة النساء)^(٥)

ويقول دكتور عثمان موافي: (إن الأصل في الأدب أم يكون فناً واحداً هو
الوصف لا التعبير في حقيقة وصف الأحوال الحسية والأحوال النفسية بيد أنه لم
ثمة بد من تجزئة هذه التسمية لاتساع مدلول الوصف وشموله كل شيء تقريباً، لذلك

(١) محمد عبد المنعم خفاجة، د. صلاح عبد التواب، الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام - ص ١٢٦ - مرجع سابق.

(٢) د. عثمان موافي من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم - ص: ٤٦ - مؤسسة الثقافة الجامعية - الاسكندرية - مصر - ١٩٧٥م.

(٣) ابن قتيبة أبا محمد بن عبد الله بن مسلم - الشعر والشعراء - ص: ٧٨ - شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر - ١٩٦٦م.

(٤) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه - ص: ٢٤٦ - تحقيق : علي قرقدان - دارالمعرفة بيروت - ج ١ - ط ١ - ١٩٨٨م.

(٥) د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي - ص: ١٩٥ - دار المعارف - مصر - ط ٦ - ١٩٧٤م.

نظر النقاد إلى الموضوعات اتسعت فيه اتساعاً كبيراً فسموا وصف الناس الأحياء مدجاً وهجاء وسمو وصف الأموات رثاء وقسموا الكلام في المرأة إلى قسمين كان وصفاً لأعضائها الظاهرة ن حسن ووجهها وجمال قدها ... أبقو له لسم الغل وما يتناول الشكوى من فراقها والشوق إلى لقائها وإظهار الحب بها سموه نسباً وإن نفر من النقاد ومؤرخي الأدب يجعل الغزل والنسيب بمعنى واحد.^(١) وكذلك سمو وصف الخمر خمريات ووصف الصيد طرديات وبقي الوصف المطلق متعلقاً بوصف الطبيعة ومظاهرها وبوصف الخليل والليل والبرق والبحر وما إلى ذلك.^(٢)

ثانياً- الوصف في العصر الجاهلي:

لا شك أن الشاعر يستمد مواضيعه من طبيعة بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها، محاولاً أبداً أن يعبر عن تأثيره أضف إلى ذلك أن البدائي بطبيعة نفسيته تميل به نزعة التقليد إلى نقل ما يراه حتى كأن شعره لوحات مقولة بدقة وبراعة عن البيئة التي يعيشها.

وشعره كأساطيره، وجه من وجوه التعبير المخلص عن نفسه وعن الكون وقد أدى إخلاصه القريب من السذاجة إلى صورة مفعمة بالركة استقل بها الشاعر عن شعره الخاص وخياله الأسطوري الواهم ووقف أما الظواهر.

فظهرت في الشعر الجاهلي معالم الحياة الجاهلية فهو يضعنا وجهاً لوجه أما معالمها كأننا نعيش في قلبها ويكاد الجاهلي لا يدع حيواناً أو مشهد دون أن يصوره . لقد ذكر الفرس والأوبد والحمير والوحشية والعقاب والذئب فضلاً عن الصقر والقطاة كما أنه تصدى لوصف الحياة والأفاعي أما الطبيعة الساكنة فقد عرض لها بقسم وافر من شعره ، خاصة تلك المظاهر التي كان لها تأثير مباشر في حياته كالطلل والصحراء والليل والمطر فضلاً عن الرياض.

كما تصدى الجاهلي إلى وصف الحيوان رفيق سفر وشركاً في الكفاح ضد مؤثرات الطبيعة وعواملها وكانت البقرة الوحشية غاية مباشرة.^(١)

(١) د. عثمان موافي- من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم- ص: ١٠.

(٢) عمر فروخ: تاريخ الأدب - ص: ٤٩- دار العلم للملايين بيروت- ج ١- ط ١٩٦٥م.

(٣) إيليا الحاوي: فن الوصف وتطوره في الشعر العربي- ص: ٢١، ٢٤، ٢٨. بتصرف- منشورات دار الكتاب اللبناني- بيروت -

ط ٢- ١٩٨٧م.

ويقول شوقي ضيف : " وكانوا يصفون القضا والجراد والعصافير والنمل والعنكبوت والحمام ونواحه وما يهي فيهم شوق وشجي وكانوا يذكرون الغراب كثيراً ويتشائمون به " (٢) وفيه يقول عنتره:

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع (٣)

وكلما أكثروا من وصف النبات ولدونة الأغصان وكثرة الماء أكثروا من وصف الجذب وكادوا لا يتركون شيئاً يتصل بهم إلا وصفوه فوصفوا الراعي والمرعى ووصفوا الأسلحة والحروب ووصفوا الخمر وسقاتها ومجلسها وأثرها (٤).

ومن الطبيعي كان أن يبرز كثيراً من الشعراء الجاهليين في فن الوصف وقد توفرت لهم الملكات الشعرية الفذة والقدرات الفنية التي مكنتهم من تصوير البيئة الجاهلية فوصفوا كل شيء وقعت عليه أعينهم . ويرى د. عبد الله الطيب: (إن الجاهلي وصف الإبل والخيول والبقر والمعزي والضأن .. كما وصفوا ضروب أشجار باديتهم ونباتاتها وقد وصفوا الحقائق من الدوم والنخيل) (٥)
يقول المتنبي العبدى واصفاً الفلاة والمفارز البعيدة:-

أعازل ما يدريك أن رب بلدة إذا الشمس في الأيام طال ركودها
وآمت صوادح النهار وأعرضت لوامع يطوي ريطها وبروها (٦)

(٢) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي - العصر الاهلي - ص: ٢١٦، ٢١٧ - دار المعارف - مصر - ط ١١ - ١٩٦٠ م.

(٣) عنتر بن عمرو بن شدادين قراد أدعاه أبو بعد الكبير، ذلك لأنه كان لأم سوداء تدعى زبيبة- انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء -

ص: ١٧١ - دار الثقافة - ج ١ - بيروت - الديوان - ص: ٩٨ - شرح: د. يوسف عبيد- دار الجيل - بيروت - د. ت- ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٤) شوقي ضيف: مرجع سابق- ص: ٢١٦-٢١٧.

(٥) د عبد الله الطيب: محاضرات الموسم الثقافي - ٣٠٨.

(٦) المتنبي العبدى ؛ محصن بن ثعلبة، وسمي بالمتنقب لقوله : رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

وكانت المرأة العربية ذات تأثير سحري على عقل الرجل وقلبه وعواطفه ومشاعره يقتحم الصعاب ويركب الأهوال من أجلها ، لذلك كان الشعراء لا يفتأون يرددون ذكرها في كل مناسبة للقول بها في أشعارهم ويبدأون قصائدهم ويقفون على أطلالها باكين يلهون بمنازلها متشوقين ^(١) يقول الأعشى في وصف امرأة:

هركولة مثل دعص الرمل أسفلها مكسوة من جمال الحسن جلبابا

رعبونة فنق خماسة ردح قد اشربت مثل ماء الورد إشرابا ^(٢)

والوصف الجاهلي عبارة عن لوحات كاملة ، حيث أن شاعرها وفر لها كل أسباب الصور الموحية المؤثرة والجو الملائم من زمان ومكان ولون وحركة وصوت. ونجد أن كل اللوحات والصور تتكرر من شاعر لآخر وقد تتكرر فيها المشاهد وتتشابه فيها الصور، وإن كانت متشابهة في إطارها العام لكن لكل صورة معالجة معينة وتفصيلات خاصة بها ^(٣). والوصف لكونه غرضاً شعرياً من أغراض الشعر الجاهلي، كان يأتي في تضاعيف القصيدة الجاهلية، ويأتي في أغلب الأوصاف فمن الموضوعات الأساسية التي تنتظم سلك القصيدة الجاهلية، يقول شوقي ضيف مشيراً إلى ذلك: (فالشاعر يبدأها بالتشبيب أو بالأطلال والديار ويصف أثناء ذلك حبه ثم يصف رحلته حينئذ يصف ناقته وفرسه وقد يؤخرها نهاية القصيدة ويقدم عليها غرضه من الحماسة أو الهجاء أو الرثاء أو المديح ممعناً أثناء ذل في وصف ما يقع تحت عينيه تأثيراً حكماً وتجاريه ^(٤)) ومن الشعراء المجيين للوصف : النبتة الجعدي وكان من أوصف الناس للفرس يقول فيه:

فإن صدقوا قالوا: جواد مجرب ليع وخير الجياد ضليعها ^(٥)

(١) محمد عبد المنعم خفاجة، د. صلاح عبد التواب : الحياة الأدبية في عصري الجاهلية والإسلام - ص: ١٣٥ - مرجع سابق.

(٢) الأعشى: الديوان - ص ١٠٧، تحقيق: كامل سليمان - دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ط ١ - د.ت. * هركولة: عظيمة الأرداف. * الدعص: الاكثيب، * رعبونة: ممثلة الجسم.

(٣) يحيى جبوري : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه - ص: ٢٢٠ - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - بيروت - ط ٤ - ١٩٨٣.

(٤) د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي - مرجع سابق ص: ٢١٩.

(٥) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء - ص:

وامرؤ القيس وصف الأمطار والسيول التي تحدث في الصحراء وهو أول من وصف الليل في قوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلل
فيا لك من ليل كن نجومه بكل مغاز الفتل شدت بيزيل
كأن الثريا علقت في معاصمها بأفراس كتان إلى صم جندل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح ما الإصباح منك بأمثل^(١)

ولم يخل الشعر الجاهلي من وصف الرياض والأزهار ولا سيما في أقوال الشعراء الذي خالطوا الحضارة ورأوا بساتين الحيرة أو غوطة الشام وغيرها من مدن العراق كأعشى بكر القائل في وصف روضة:

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك لشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل^(٢)

ومن أمثلة ذلك أبيات عنتره التي وصف فيها روضة مشبهاً رائحتها برائحة محبوبته يقول:-

أو روضة أنفا تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم
جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قراره كالدرهم
سحاً وتسكاباً فكل عشية يجرى عليها الماء لم تصرف^(٣)

يتضح من ذلك أن الشاعر الجاهلي وصف كل شيء وقع تحت بصره. استقصى الأشياء عظيمها ودقيقها .. تعرض للأرض وما بها من صحراء وكثبان رمال، وجبال، وأشجار ونبات، ومن السماء رعودها وبروقها، والليل ونجومه، والنهار وسمومه وما إلي ذلك...

(١) امرؤ القيس : الديوان - ص: ٣١ - شرح : د. محمد الاسكندراني، نهاد مرزوق - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ١ - ١٤٢٣ هـ -

٢٠٠٢ م

(٢) الأعشى ؛ ميمون بن قيس - الديوان - ص: ١٥٠ - تحقيق : لجنة الدراسات في دار الكتاب اللبناني - كامل سليمان - ط ١ - د. ت.

(٣) حمد بن الشنقيطي: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها - ص ١٠٧ - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٥ م.

ثالثاً- الوصف في صدر الإسلام:

كان العرب قبل الإسلام يعيشون في قبائل متنافرة ومتنايزة لا يعرفون فكرة الأمة الواحدة التي تعيش في أمن ومحبة وسلام وإنما كانوا فقط يعرفون التعصب للقبيلة فقد جاء الإسلام وأخذ يضعف من شأن القبيلة ويحل محلها فكرة الأمة الواحدة المتحدة المتعاونة كما اخذ يرسى القواعد الاجتماعية التي تكفل الحياة الكريمة لهذه الأمة بحيث تصبح أمة مثالية حتى لكانهم البنيان الواحد وقد أصبحوا بفضل الإسلام أخوة متحابين لا تفسد قلوبهم الضغينة والحقد ولا تطمس بصيرتهم عوامل الصراع والكراهية.^(١) ومما لا ريب فيه أن تعاليم الإسلام قد رفعت من المستوى العقلي والاجتماعي والإنساني والروحي للعرب إلى درجة كبرى ونقلهم إلى عبادة الله وحدة وراء المادة لا تدركه الأبصار عظيم السلطان سميع بصير.^(٢)

وليس من شك أن الشعر ظل على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم جاهلياً فلما خضعت قريش وسائر العرب للدين الجديد ، خرسست الألسنة اللاذعة وفر الشعر الجاهلي للبادية وانصرف المسلمون إلى حفظ القرآن ورواية الحديث وجهاد المشركين إلا من بعد حين في صادق المدح والثناء وتساهل النبي في سماعه حتى أثاب عليه وقال فيه: (إن من الشعر لحكمة)^(٣) . أما الوصف لكونه غرضاً شعرياً فقد منعت الأغراض التي تتنافى وتعاليم الدين الإسلامي كالغزل الفاحش والهجاء المقذع ومن استمر منهم في الدين الإسلامي حبس وزجر من الخلفاء الراشدين، وكذلك توقف الكلام في الخمر ووصفها والميسر وفي الوحوش وطردها.. إلى غير ذلك مما يعده المسلم المتأثر بالقصيدة الإسلامية عبثاً ولهواً^(٤) فتأثر الوصف بتلك القيم الجديدة التي جاء بها الإسلام والتي أمتد أثرها إلى كل الحياة العربية وقد جاء الوصف في القصائد

(١) أبو عمر يوسف بن عبد الله محمد بن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب ص: ٤٠٠- مطبعة السعادة - القاهرة ط١- ١٣٢٨هـ.

(٢) أنظر : محمد أمين، فجة الإسلام ص: ٧٤-م النهضة المصرية -القاهرة-ج١-ط٧-د.ت.

(٣) أنظر أحم حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي ص: ١٠٣-١٠٤- مطبعة نهضة مصر للطباعة - ١٩٨١م * هو حديث عن أبي ابن كعب في صحيح غبن ماجة ، باب الشعر -٢٣، ٣٠، ٣٧٥٥-تأليف محمد ناصر الدين الألباني- الرياض - مكتبة التربية العربي لدول الخليج - مج ٢.

(٤) أنظر: د. أحمد عبد الكنعن البهي: الدراسات في الأدب والنقد والبلاغة ، ص: ٨٠، شوقي ضيف : العصر الإسلامي- ص ٤٣.

التي سيقّت على النمط الجاهلي مثل قصيدة كعب بن زهير (بانّت سعاد)^(١). ومعظم القصائد التي نظمت كانت في وصف المعارك وشعر الجهاد جاءت تحمل في مضمونها العزة والإشادة ببلاد المسلمين....^(٢) يقول كعب بن مالك في وصف معركة أحد مصوراً المعركة مفتخراً بجماعة المسلمين:

ودارت رحاها واستدار رحاهم وقد جعلوا كلا الشر يتبع
ونحن أناس لا نرى القتل سبة على كل من يحمي الزمار ويمنع
جلاد علة ريب الحوادث لا ترى على هالك عينا لنا الدهر تدمع
بنى الحرب لا تعيا بشيء نقوله ولا نحن مما جرت الحرب نجزع^(٣)
وقول حسان بن ثابت : واصفاً الخيل التي يخوض بها المسلمون الحرب
مفتخراً ومشيداً بالمسلمين مهدداً الأعداء.

عدمنا من خيلنا إن لم تروها نثير النقع موعدها كداء
يبارين الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيانا متمطرات تلطمهن بالخمير النساء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم يعز الله فيه من يشاء^(٤)
ويمكن القول بأن الوصف في صدر الإسلام جاء يحمل في شكله ومضمونه ملامح الوصف في العصر الجاهلي غير أنه عبر عن واقع نفسي جديد مستنهضاً هم العربي بتلك القيم التي جاء بها الإسلام.

رابعاً- الوصف في العصر الأموي:

يبدأ هذا العصر سنة إحدى وأربعين المعروف بعام الجماعة ، عام تنازل الحسين بن علي عن الخلافة لمعاوية وينتهي بقيام الدولة العباسية سنة اثنين

(١) أنظر: النعمان عبد المتعال القاضي : شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام - ص: ٢٦٧ الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - د. ط - ١٩٦٥ م.

(٢) المرجع نفسه ص: ٦٧.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية - ص: ٦٧، ٦٨ - تقديم طه عبد الرؤوف سعد - دار الجبل - بيروت - ج ٣ - د. ط - ١٩٧٥ م.

(٤) حسان بن ثابت - الديوان - ص: ٩٠٧ - دار صادر - بيروت - ١٩٢٢ م.

وثلاثين بعد المائة،^(١). ولعل الشعراء قد طرّقوا في هذا العصر جميع الأغراض التي طرقها شعراء من قبل كالمدح والفخر والهجاء الرثاء والغزل والوصف ونحو ذلك من الأغراض العامة التي بتداولها الشعراء في كل عصر، بيد أن هذه الأغراض قد تأثرت بما وجد من مظاهر الحضارة والآن الترف وتشكلت صورة البيئة وأحوال المجتمع وظروفه السياسية...^(٢)

والملاحظ أن هذا الوصف قد انحسر مما كان عليه في العصور السابقة له خاصة العصر الجاهلي فبالرغم من الغنى والنعيم اللذين توافرا للشاعر الأموي ورغم ما فاض عليه من رغد عيش وترف وهي البيئة الصالحة للوصف إلا أن الوصف لم يزدهر في هذا العصر لأسباب منها : انصراف قرائح الشعراء للشعر السياسي والعداوات القبلية والمنافرات الحزبية وأنواع من الغزل لم تكن معروفة من قبل ووصف البلاد المفتوحة والدعوة إلى الزهد والتقشف مما استدعت مظاهر الحياة الجديدة وملابساتها.^(٣)

وقد اشتهرت نخبة من شعراء العصر الأموي بالوصف ، أشهرهم الأخطل وقد أجاد في وصف نهر الفرات والثور الوحشي ومن شعراء الوصف العجاج وهو: الشعثاء العجاج وقد برع في وصف الصحراء وما فيها من حيوان بري وكذلك وصف الإبل.

ومن خصائص الوصف في العصر الأموي أنه يحمل سمات وخصائص الوصف الجاهلي لذلك لا نحس بفارق زمني بفصل بين الوصف في هذا العصر والعصر الجاهلي بل نجد أن كثيراً من أبيات الشعر الجاهلي قد أعاد الأمويون صياغتها فاستحكموا الصور وأتموها وبينوا الفكرة ووضحوها وم أمثلة ذلك ما مشهده في بيت جرير:

(١) بيومي: تاريخ الأدب العربي - ص: ١٨٣ - مطبعة الرسالة - القاهرة - ج ٢ - د. ط. - د. ت.

(٢) أنظر: عبد الحميد محمود ، حسن جاد حسن: الأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين - ص: ٨٧-٨٨ - دار التأليف القاهرة

- د. ط. - ١٩٥٢ م.

(٣) المرجع نفسه: ص: ٨٧-٨٨.

لمن طلل هاج الفؤاد المتيما وهم لسلمانين أن يتكلما^(١)
فجرير يقف على الطلل باكياً كما وقف شعراء العصر الجاهلي من قبله وهذا بيت يذكر
ببيت أمروء القيس:

لمن طلل بين الجدية والجل محل قديم طالت به الطول^(٢)

خامساً- الوصف في العصر العباسي:

ولئن كان العصر الأموي عصر الفتوح والامتزاج بين القبائل والأديان والشعوب
فإن العصر العباسي هو عصر الاختمار والتعليم الجديد فالأمويون لم يتمثلوا الحضارة
ويكتسبوا فضائلها بل اقتبسوها وتمتوا بنعيمها من الخارج دون تأثير جذري عميق في
تطور طبائع نفوسهم، أما العباسيون فهم الجيل الذي اختمر بمعطيات الحضارة الجديدة
وأن براعم التجديد التي ازدهرت في العصر الأموي لم تتضج إلا في العصر العباسي.^(٣)
فلقد اتسع الوصف في العصر العباسي اتساعاً كبيراً وتناول مظاهر البيئة الجديدة
المطاعم والملابس والخمر والزهر ثم تعرض الشعراء إلى الأحوال الفكرية والاجتماعية في
إدخال مدارك النحو والمنطق والفلسفة في الشعر ومن وصف مجالس الغناء.^(٤)

وتأثر الشاعر العباسي بواقعه الجديد وكان أهمها وصف الرياض التي تردد إليها
الشعراء كافة وخاصة أبو نواس وابن الرومي والصنوبري كما تعرضوا إلى وصف
القصور الذي مشهده في شعر البحتري فضلاً عن وصف المغنيين والمغنيات
ومجالس الخمر وهذه أبيات لابن الرومي:

وساق صبيح للصبح دعوته فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات علينا كأنجم فمن بين منقض ومن غير منقض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجود كنا وهي خضر على الأرض
يطرزاها قوس السماء بأحمر على أخضر في أصفر وسط مبيض

(١) جرير : الديوان - ص ٦٨٢ شرح: د. يزسف عبيد - دار الجيل - بيروت - ط ١ - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) أمروء القيس: الديوان - ص: ٣٦٦ - شرح وتحقيق د. محمد الاسكندراني ، نهاد رزوق - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ١ -

٢٠٠٢ م.

(٣) إيليا الخاوي: فن الوصف وتطوره في الشعر العربي - ص: ٥-٦ - ج ٢ - مرجع سابق.

(٤) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي إلى آخر القرن الرابع الهجري - ص: ٤٣ - دار العلم للملايين - بيروت - ط ١ -

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض^(١)
لقد أثرت الحضارة الجديدة في أساليب الوصف تأثيراً متعدد الوجوه وأصبح الوصف في العصر العباسي يتناول المباني الضخمة والأواني الأنيقة والمياه لقرقاة وأنواع لأكل التي لا تحصى والبساتين والملاهي وكل هذه العناصر في الحياة لم تكن موجودة في العصر الإسلامي ولا الجاهلي ولا حتى في العصر الأموي فهذا الوصف الذي ظهر في العصر العباسي يصور حياة أكثر تنوعاً في عناصر من الحياة التي كان يعرفها الشعر العربي القديم من صحراء وأطلال.

سادساً- الوصف في العصر الأندلسي:

يجمع المؤرخون على أن الأندلس كانت بلاداً خضراء كثيرة الخصب والمياه تشبه دوحة غناء مترامية الأطراف وكما أن الخصب يتبع الغنى فإن الغنى يتيح الأزهار. ونحن نعلم أن الوصف هو أسلوب من أساليب الشعر الترفي الذي لا يترزق فيه الشاعر، كما إنه لا يدافع به عن رأي أو جهة نظر بل يتروض بتقليد الطبيعة ويلهو بتصويرها ولقد كان طبيعياً أن ينبري أولئك الشعراء بوصف متعتهم وما يحيط بهم من رياض وبساتين ومجالس لهو وما أشبه ذلك.^(٢)

فظهر في أكثر أغراض الشعر وأظهر الأندلسيون فيه عبقرية نادرة لا سيما عندما عرضوا إلى وصف الطبيعة وجمال العمران ومجالس الأنس والطرب فاهتمام الأندلسيين بالوصف كان كبيراً على الرغم من امتزاجهم في أكثر الأغراض الشعرية فقد استطاعوا أن يتقنوا فيه وينحوه بعض الاستقلال وهناك شعر وصفي يجمع بين مظاهر الحياة الحضرية الهائلة من وصف لمجالس اللهو والغناء والرقص والشراب والصيد وآلاته وأدواته وهناك شعر لمظاهر العمران والقصور وهناك شعر وصف الحروب والسلاح والسفن وغير ذلك ما يتناول الحياة يرخائها وحربها ، ولا عجب أن يكون لوصف المعارك نصيب وافر في الشعر فالحرب بين المسلمين وأعدائهم الفرنجة لم تنقطع ولم نهداً إلا ونشبت مرة أخرى فحفلت مدائح الملوك والأمراء بذكر المعارك والجيش.

(١) ابن الرومي ؛ على بن العباس بن جريح ، ولد في بغداد سنة ٢٢١هـ، توفي سنة ٢٨٤هـ أنظر : أحمد حسن الزيات - تاريخ

الأدب العربي-الديوان ص: ١١٣- شرح: أطوني التميم - دار الجبل - بيروت - ج ٤- ط ١- ١٩٩٨م.

(٢) إيليا الحاويك فن الوصف وتطوره في الشعر العربي - ص: ٦- ٨ - مرجع سابق.

وساعدت الطبيعة الفاتنة على نضوج الشعر وحلاوته وكان لمجالس الأنس والبهجة الأثر الكبير في تنوع أغراض الشعر وخاصة الوصف . فوصف الشعراء الطبيعة الفاتنة كما وصفوا الحقائق والقصور والأبنية وما بها من صور وأشكال وتمائيل وبرك، ووصفوا مجالس الشرب ووصفوا الشموع والكنائس والأديرة وأكثروا من وصف الأساطيل البحرية، وحتى ألوان الحياة العامة وما فيها من ظواهر دقيقة وحشرات وبراعيث إلى غير ذلك من أغراض الوصف المتعددة الجوانب المترامية الأطراف^(١). وأكثر الأندلسيون من وصف الربيع والروضيات وتناوله معظم الشعراء فأبا زكوان يصف روضاً:

مد للسلوان أشراك النظر في ابتهاج الروض من وجد المطر
وتلقى الأنس عن آس الري وأرطى النور عن نشر السحر
وأرشف ثغر أقاح باسماء واصطبج بالطل من كاس الزهر
وجلا الورد خدود أشربت خمرة العقيان في فرط الخضر
وانبرى النسرين يهدي ذهباً في صحائف مفرغان في درر^(٢)

والقاضي أبو الحسن بن زنباغ له قصيدة طويلة في وصف الربيع يقول فيها:

أبدت لنا الأيام زهرة طيبتها وتسربت بنضريها وقشبيها
وقفت عليها السحب وقفة راحم فكببت لها بعيونها وقلوبها
ما أنصف الخيري يمنع طيبيه لحضورها ويبيح لمغيبيها
وهي التي قانت عليه بدفئها وتعاهدته بدرها وحليبيها^(٣)

فالوصف يكون تابعاً لقوة خيال الشاعر أو الكاتب وحسن اختيار الألفاظ وتركيبها تركيباً مناسباً جارياً على أصول أساليب اللغة والشاعر هو كالرسام البارِع الذي يعرف أن يضيف الأصباغ بعضها ببعض الآخر فيناسب اللون الذي يبعث في العين قرة وانسراحاً وفي خاطر اطمئناناً.^(٤)

(١) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه - ص: ٢٤٧ دار العلم للملايين - بيروت - ط ٥ - ١٩٨٣ م.

(٢) عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي - ص ٧٩٥ - دار الكتاب اللبناني - بيروت.

(٣) المرجع نفسه: ص: ٧٦١.

(٤) عيسى سابا: شعر القصة والوصف في لبنان - ص: ١٧٨ - بيروت - ١٩٦١ م.

ويتبين من خلال ما وقفنا عليه من تعريف للوصف لكونه غرضاً من أغراض الشعر أنه يشرح حالة الشيء وهو عليه في الواقع في ذهن السامع أو القاريء. كما يقول مصطفى صادق الرافعي في كتابه: "تاريخ الأدب العربي" : (الوصف جزء طبيعي من منطق الإنسان لأن النفس محتاجة من أصل الفطرة إلى ما يكشف لها من موجودات وما يكشف للموجودات منها ولا يكون ذلك إلا بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصور في طريق من طرق السمع والبصر والفؤاد أي الحس المعنوي فالأهم الطبيعية هي أصدق الأمم في الوصف طبيعة لأنه سبيل الحقيقة إلى أسنتها ولحاجتها الماسة إليه تجعل هذا الحس أقرب إلى الكمال فإذا أفت إلى ذلك سعة العبارة مطاوعة اللغة في التصريف كما هو الشأن عند العرب كما أجمع وأبدع في تصوير الحقيقة.^(١)

(١) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ الأدب العربي - ص: ١١٩ - دار الكتاب العربي - بيروت - ج ٣ - ١٩٧٤ م.

الفصل الثاني

وصف الأزهار في العصور العربية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وصف الأزهار في العصرين الجاهلي والأموي وأسباب ندرة وصف الأزهار فيهما.

المبحث الثاني: وصف الأزهار في العصر العباسي.

المبحث الثالث: وصف الأزهار في العصر الأندلسي.

المبحث الأول

وصف الأزهار في العصرين الجاهلي والأموي وأسباب ندرة وصف الأزهار فيهما

أولاً تحديد العصر الجاهلي:

يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقبة وأزمنة فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده.

ويقول شوقي إن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية التي جاء عنها الشعر الجاهلي. وفي ذلك يقول الجاحظ: (وأما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه أمرؤ القيس بن حجر ومهلل ابن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر، وجدناه - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام)^(١). وكلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه إنما هي بمعنى السفه والغضب والنزق فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاقة لله عز وجل وما ينطوي فيها من سلوك خلقي كريم. وردت في الحديث النبوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب.^(٢)

وقبل ذلك في القرآن الكريم ففي سورة المائدة يقول تعالى (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)^(٣) وفي سورة الفرقان يقول عز وجل: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ

^(١) (الجاحظ - الجيوان - ص ٧٤ - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - ج ١ - ١٩٨٨ م.

^(٢) (شوقي ضيف - العصر الجاهلي - ص ٣٨ - ٣٩ - دارالمعارف - مصر - ط ٨ - دت.

^(٣) (سورة المائدة - الآية ٥٠.

قَالُوا سَلَامًا^(١) وفي الحديث النبوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وقد عير رجلاً بأمه: (... إنك أمرؤ فيك جاهلية)^(٢)

وفي معلقة عمرو بن كلثوم ألتغلبني:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
أي لا يسفه أحد علينا فنعاقيه بما هو أعظم من سفهه.^(٣)

ومما لا شك فيه أن الشعر العربي مر بمراحل عدة حتى استوى في صورته الجاهلية التي بين أيدينا والتي جاءت على السنة أوائل شعراء الجاهلية كأمرؤ القيس، حيث وصفهم ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء^(٤) وتحدث عنهم ابن قتيبة في الشعر والشعراء.^(٥)

وهناك بعض الإشارات التي تدل على وجود شعراء قدامى قبلهم في قول أمرؤ القيس:

عج بنا على الطل المحيا لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خدام^(٦)

وخلاصة القول أن كل ما لدينا من شعر يمثل الجاهلية الثانية التي عرفت لديناب العصر الجاهلي.

ثانياً: وصف شبه الجزيرة العربية:

تقع جزيرة العرب في الجنوب الغربي من آسيا، أما مساحتها فتزيد على ثلاثة ملايين كيلومتر مربع وتمتد الجزيرة في مناطق متعددة، وفي الحجاز

^(١) (أمرؤ القيس - الديوان - ص ١٦٢ - دار صادر - بيروت).

^(٢) (حديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ١ كتاب الإيمان ٢ باب المعاصي من أمر الجاهلية ٢٢ ح ٢٩).

^(٣) (الزوزني: أبي عبد الله بن أحمد بن حسين الزوزني - شرح المعلقات السبع - ص ٣٠٩ ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، ٤١٠٧ هـ، ١٩٨٧ م).

^(٤) (أنظر محمد بن سلام الجمحي - طبقات فحول الشعراء - ص ٥١ - مطبعة المدني - القاهرة - ١٩٥٢ م).

^(٥) (أنظر: تبين قتيبة: أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة - الشعر والشعراء - ص ٥٩ - شح أحمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر).

^(٦) (أمرؤ القيس - الديوان ص ١٦٢ - دار صادر - بيروت).

مساحات وأسعة غطتها صخور سود تمثل البراكين والتي ثارت في بعض العصور القديمة وتعرف هذه المناطق باسم الحرات، وهي الأماكن التي تستقر فيها القبائل وتقيم عندها لوفرة مياهها وخصوبة أرضها.

وبلاد العرب كثيرة الجبال الجرد وتعد السلسلة الجبلية المستطيلة الممتدة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب هي أعلى المناطق ارتفاعاً وفي الجنوب من الجبال - توجد سلاسل وآكام ممتدة محاذة الساحل، وفي الشكال والغرب والجنوب جبال مشهورة أهمها أحد، وتمثل الكثبان الرملية في منطقة الربع الخالي سلسلة طويلة تتنوع بينها الرمال والتلال، والهضاب بشكل غير منتظم، وترتفع هذه الكثبان وتنخفض في أماكن عدة، وتتكون في أغلب الأحيان من الرمال الدقيقة التي تسببها الرياح.

ونظراً لجفاف الصحراء فإن مناخها في حرارته وبرودته متطرف، ففيها لهيب يشوي الوجوه، وسمو تلفح الأبدان، ولهذا التطرف الشديد في المناخ أثر كبير في تنقل البدو.

فقد تهطل الأمطار الغزيرة فتحدث السيول، ثم تعقبها فترة طويلة من الجفاف التام، وهذه الأمطار التي كانت تنعم بها السماء لا يتمتعون بها لتسربها إلى مسائل الأودية التي تصبها في البحر أو ذهابها إلى اليافي المغفرة، والتي تغيض عندها الماء فلا يترك فيها إلا غدائر وقيعانا، وعيونا، وكانت لهم رياح يكونون عند الأوقات التي تهب فيها، وما يعقبها في قحط ومحل بالسنين، فهي أوقات تجلب الشدائد، فيها يقل الطعام، ومعها تزيد قسوة الحياة في فترات الجفاف مع اقترانها الغالب بريح السموم، تلك الريح المهلكة.

ومع هذا المناخ القاسي عرف الشاعر الجاهلي الشجر والنبات على قتلها اتصاله به، فهي تدخل فيما يأكلونه منها، وما يبنون منه بيوتهم، وحظائرهم، وخيامهم وما يصنعون من قسيهم وسهامهم، ورماحهم وأنيتهم، وأقداحهم وموائدهم

ومعظم ما كانوا يستعملونه في حياتهم، وكانوا يستوقدون بحطبها، إضافة إلى ما كانت ترعاه ماشيتهم وإبلهم. ^(١)

^١ (د. نوري حمدوي العيسى - الطبيعة في الشعر الجاهلي - ص: ١٧-١٩ بتصرف - مكتبة النهضة العربية - بيروت ط ٢ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

أما النبات فكان وروده في الشعر أقل لضعفه ولأن حاجتهم إليه قليلة واستعماله محدود، وأكثر النبات وروداً - البردي وبه يشبه العرب السيقان.
* قال عبيد بن الأبرص:

خود مبتلة العظام كأنها بردية نبتت خلال غروس^(١)

وتعرض الشاعر الجاهلي لذكر الأزهار لكنه كان مقلداً فيه، ذلك لكونها غير متعلقة بأسباب حياته، فلا نجدها عنده إلا ساعات اللهو والسمر وهم يتناولون أكؤس الخمر، فذكر منها الريحان، والعرار، والخزامي، وشقائق النعمان، ويعد الأقحوان أعمها ذكراً، ففيه من ثغر الحبيبة وأسنانها لمحات يتناولها الشعراء كل من زاويته وأحاسيسه الخاصة والمعنى واحد ..

وقد أورد المنجد في اللغة والأعلام وصفاً للأقحوان يقول: (أقاحي وأقاح واحدته اقحوانة وقحوانة) نبات أوراق زهرة مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان، المتعددة من أوائل الخريف زهره من المركبات .. ولونه أصفر ذهبي، وتعد كثرتة من أشد الأعشاب ضرراً بالمزروعات^(٢) ويورد المعجم الوسيط وصفاً موجزاً مطابقاً لما ورد في المنجد ويضيف عليه بأنه نبت زهرة أصفر أو أبيض ورقة مؤلل كأسنان المنشار، ومنه البابونج.^(٣)

والمرار ابن المنقذ العبدى شاعر جاهلي تخيل عدداً من أزاهير الأقاحي كأنما على هيئته العقد، ومكانه معروف، لكن يرمي بهذا الوصف الأسنان، وخلف هذا التركيب المتراس يكون الإثمد الأسود ليعكس بياض الأسنان ... وال ضد يظهر حسنه الضد!

وإذا تضحك أيدي ضحكها أقحواناً قدته ذا أشر
ولو طعمت به شبهته عسلاً شيب به ثلج خصر^(٤)

^(١) د.نوري جمودي العيسى - الطبيعة في الشعر الجاهلي - ص ٨٣--٨٤ بتصرف - مرجع سابق.

^(٢) المنجد في اللغة والأعلام-مادة أقح- ص: ١٥.

^(٣) المعجم الوسيط - مادة أفن - ص ٢٢ - إبراهيم أنيس - عطية الصواحي، عبد الحليم، منتصر محمد خلف الله احمد - مطبعة أحياء التراث الإسلامي - قطر - ربيع الأول - ج ١ - ١٩٧٢م.

^(٤) المرار بن منقذ، من عدي بن مالك بن حنظل، أنظر بن قتيبة: الشعر والشعراء - ص ٥٨٦ - حسن مصطفى حسن - نبات في الشعر العربي - ص ٢٤ - مطابع جامعة الملك سعود - ج ٢ - ١٩٩٥م.

وهناك رؤية أعمق وأدق للشعراء الجاهليين حول الأفعوان، حيث بياض
الأفعوان يكون على أشده فوق خلفية ذهبية ذات امتداد يختفي مع الأفق ..
وطبيعة الرمال على هيئة التلال والري - فالعمق أبلغ والجمال أكثر إثارة ..
على نحو ما يقول طرفة بن العبد البكري:

بادن تجلو إذا ما إبتسمت عن شتيت كاقاح الرمل غر
بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الأشر (١)

ومرحلة هطول الأمطار وإزالتها لم علق بزهر الأفعوان من غبار وتراب
التف كثير من الشعراء حولها، وهذه الصورة نلمحها عند النابغة الذبياني حينما
قال في ملهمته:

تجلو ببقادمتي حمامة أيقة برداً أسف لثاته بالإثمد
كالأفعوان غداة غب سمائه جفت أعياله وأسفله ندي (٢)

والشماخ بن ضرار من الشعراء المخضرمين الذين قضوا جزءاً من حياتهم
في الإسلام يلمحها من بعيد، الأنامل تمسك في ضعف جميل السواك وتحركه
فيثير ذلك تدفق لعابها، فينفرج فمها في نضاعة أسنان بيض كالأفعوان:

تميح بمسواك الأراك بنانها رضاب الندى عن أفعوان مفلج
وإن مر من تخضى اتفته بمعصم وسب بنضح الزعفران مضرج (٣)

(١) طرفة بنا لعبد بن سفيان البكري، يتيماً من أبيه، كفه أعمامه فأهملوا تربيته وأسأعوا أدبه فنشأ ميالاً
للدعة والتعطل أنظر: حسن أحمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربي ص ٦١ - شرح وتحقيق د. محمد
محمود - دار الفكر اللبناني - ط ١ - ١٩٩٥م.

(٢) النابغة الذبياني، أبو أمامه زياد بن معاوية، لقب بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى إحتتك، وكان متكسباً
بعره، أنظر: احمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربي - ص ٤٩ - الديوان - ص ١٠٨ - شرح عباس
عبد الستار - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م.

(٣) الشماخ بن ضرار بن أمية بن عمرو بن سعد بن ذبيان، مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام وقال
للنبي صلى الله عليه وسلم:

تعلم رسول الله إنا كأننا أفأنا بأثمار ثعالب ذي عسل

أنظر: الأغاني - ص ١٥٤ - الديوان ص ٧٥. تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي - دار المعارف مصر
- د. ط - ١٩٦٨م.

والإبتسامة السريعة تكشف عن الأسنان لحظة ثم تخفيها والبرد يتلأأ حين
سقوطه فترة ثم يذوب .. في ذلك يقول عمرو بن أبي ربيعة:
غادة تفتت عن أشنبها حين تجلو أقاح أو برد
ولها عينان في طرفيها حور منهما وفي الجيد غيد^(١)

^(١) عمرو بن أبي ربيعة القرشي المخزومي، ولد بالمدينة ليلة ما ت عمر فكان يقال أي حق رفع وأي باطل وضع وكان ثريا غنيا. أنظر: احمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربي - ص ١٥٧ - الديوان ص ١٦٥ - ١٦٧ - شرح د.يوسف فرحات - دار الجيل - بيروت.

ويقول عمرو بن أبي ربيعة أيضاً:

فلما أن بدأ للعين منها أسيل الخد في خلق عميم

وعينا جؤذر خرق وثغر كمثل الاقحوان وجيد ريم

حنا أترابها عليها حنو العائدات على سقيم^(١)

وذي الرمة يشبه أسنان صاحبتة بأقحوان أصابة قطر يقول:

إذا أخلت مسواكها صقلت به ثنايا كنور الأقحوان
المهطل^(٢)

شقائق النعمان :

(جاء في محيط بانه مفردة شقيق والأصح انه من اسماء الجنس وهو نوعان : كل واحد منهما أحمر الزهر مقبع بنقط سوداء كبيرة غير ان زهر الواحد ارق من الآخر ...) ^(٣) . وفي نهاية الأرب انها سميت بالشقائق لحرمتها ، تشبيهاً لها بشقيقة البرق ، والنعمان أسم والدم ، وشقائقه قطعه ، فشبهة حملاتها بجمرة الدم ويقال إنما اضيفت الشقائق إلي النعمان لانه حمي أرضاً كثر فيها هذا الزهر

يصور لنا طرفه بن العبد الحرب وفضاعتها ، وكيف ان الخيول من كثرة ما كساها من دماء الجرحي والقتلي بدات في ناظره كانها شقائق النعمان الحمر :
وتساقى القوم كأساً مرة وعلا الخيل دماء كالشقر^(٤)

امرؤ القيس يصف نساء نواعم تشق اسنانهن بياض تقي ، يرتدي ثيابا مصبوغة بلون الزعفران واخرى حمراء بلون الشقائق قائلاً :

(١) عمر بن ربيعة - الديوان - ص ٥٥٥ - شرح د. يوسف شكري فرحات - دار الجيل - بيروت - د.ت.

(٢) ذي الرمة ؛ واسمه غيلان بن نهش بن مسعود بن خارثة بن ربيعة بن ساعد بم كعب من المخضرمين.

أنظر : الديوان ص: ٥٩٤ - المتن الإسلامي للطباعة والنشر - دمشق ط ٢ - ١٩٦٤ م.

(٣) طرفه بن العبد - الديوان - ص ٦٦ - مرجع سابق.

(٤) طرفه بن العبد - الديوان - ص ٦٦ - مرجع سابق.

نواعم تجلو عن متون نقيّة
عبيراً وربطاً جاسداً وشقائقاً^(١)
ونلاحظ صورة قرية البروز عند تأبط شراً ولها مدح لشخصية الشاعر وهو يقول:
مساعرة شُعت كأن عيونهم
حريق الغضا تلقي عليها شقائق^(٢)

الورد :

اهتم به الإنسان في مختلف الأزمان والعصور ، واعتبر رمزا للجمال وهو ذا أهمية عظيمة فهو علي رأس الأزهار لما يمتاز به من ألوانه الجميلة ورائحته العطرة ، ولقد لقب الإغريق الرومان زهرة الورد منذ أكثر من ٢٦٠٠ سنة (بملكة الأزهار) وقدماء الروم يزينون الموكب الرسمية بالورود .. وقد سطع نجم الورد في سماء مصر عندما ارتفع في سماء مصر نجم الملكة كيلوباترة كانت زهرتها المفضلة . وأطلق العرب عليها لقب (ملك الفراديس) .

وجاء في محيط المحيط وصفا للورد : (الورد من كل شجرة نورها أو هو شجر شاك له رائحة عطرية يستقطر منه ماء يعرف به وتعرف بالجوري، ومنه ما لا رائحة له يعرف بالأفرنجي ..)^(٣)

وتكثر الإشارة للوردة في مجالات التشبيب، وقد فات على قيس بن زريح أنه قد تسبب في كثير من الأذى لمحبيته حينما ألبسها ثوباً خالصاً من الورد:

يكاد حباب الماء يחדش جلدها إذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد
ولو لبست ثوباً من الورد خالصاً لחדش منها جلدها ورق الورد
يثقلها لبس الحرير للينها وتشكو إلى جاراتها ثقل العقد^(٤)

(١) أمرؤ القيس - الديوان - شرح وتحقيق د. محمد الاسكندراني - نهاد رزوق - دار الكتاب العربي - ط ١ - ٢٠٠٠

(٢) تأبط شراً هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عقيل - سألت أمه أن يأتيها كأخوته - فقال لها الليلة سأتيك بشيء ومضى وصاد أفاعي كثيرة وأتى بهن في جراب متأبطاً به ، فألقاه بين يديها فسألها نساء الحي ماذا أتاك به ثابت فقالت أأتاني بأفاعي في جراب قلن كيف حملها؟ قالت تأبطها فقلن تأبط شراً - أبة الفرج الأصفهاني - الأغاني - ص ١٥٦. ت عبد الستار أحمد فراج - دار الثقافة - بيروت ج ٢١ - ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م الديوان - س: ٤٤ - إعداد وتقديم طلال حرب - دار صادر - بيروت ط ١ - ١٩٩٦ م.

(٣) د. عز الدين فراج - نبات الزينة وطرق تنسيقها في الحدائق ص ٦٨ - ٦٩ - دار المعارف - مصر -

د. ط - ١٩٦٨ م.

(٤) ابن فتيبة - عيون الأخبار - ص: ١٤٥ - ج ٤ - م متوسيان - روض الفرج القاهرة - ١٩٦٣ م.

الريحان:

وصفه صاحب المعجم بأنه: (جنس من النبات طيب الرائحة من الفصيلة الشفوية...) ^(١) وهو عشب حولي ينبت في كثير من بلاد آسيا وأفريقيا قائم أملس، وزهره غني بزيت عطري تكثر زراعته في الحدائق لرائحته المعروفة. ^(٢) والنابعة الذبياني يصف قوماً من النصارى بأنهم دقائق، ونعالهم أرق، يعني أنهم قليلاً ما يعمدون إلى المشي، وأنهم أصحاب ذوق فيحيون بعضهم بعضاً بالريحان ..

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب ^(٣)
ويقول أيضاً:

سقى القيس قبراً بين بصري وجاسم بغيث من الوسمى قطر ووابل
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منهاه ديمة ثم هاطل ^(٤)

ويقول لبيد بن ربيعة في رثاء فضالة بن كعدة:

يا عيني لا بد من سكب وتمهال على فضالة جل الرزء العالي
أبا دليمة من يكفي العشيرة إذأمسوا من الأمر في لبس وبلبال
لازال مسك وريحان له أرج على صداك بصافي اللون سلسال ^(٥)

وكعب بن زهير يصور لنا حياة تعج بالحكمة في داخلها صورة أخرى
أجمعها الخوف وألجاها إلى الهدوء والانزواء، الأولى السحب والرعد والبرق والريح،
والثانية قطيع الأطباء الحانية على أولادها في هذا الجو المكفهر وتخوفها عليهم
من الذئاب فيقول:

(١) المعجم الوسيط-مادة - روح- ص ٣٨١- مطبعة إحياء التراث الإسلامي- قطر- ج ١.

(٢) د. حسن مصطفى حسن- نباتات في الشعر العربي- ص ٩١- مرجع سابق.

(٣) النابعة الذبياني - الديوان - ص ١٢ - كرم بستاني- دار بيروت للباعة والنشر. *السباسب: يوم الأحد.

(٤) المرجع نفسه- ص ٩٠.

(٥) لبيد بن ربيعة؛ أبو عقيل بن ربيعة العامري، نشأ ربيب الندي والبأس عد جاهلياً وإن عمر في الإسلام طويلاً، حفظ القرآن وهجر الشعر، حتى رعموا أنه لم يقل بعد الإسلام إلا بيتاً واحداً هو:
الحمد لله الذي لم يأتيني أجلي حتى لبست في الإسلام سربالاً

زالت الريح تزجي كل ذي لجب غيثاً إذا ما دنته ديمة دفقا
فأنبت الفغو والريحان وابله والأيقهان مع المكنان والزرقا
فلم تزل كل عثاء البغام به من الظباء تراعى عاقدا خرقاً^(١)
الخزامي:

جاء في نهائة الأرب: أن الخزامي هو الخرم، وهو عند المغاربة السوسن
الأزرق^(٢)

والخيرى هو المنثور وهو الخزامي أيضاً^(٣) وورد في البستان - الجزء ١ ص
٦٧١ الخزامى بالفتح والخزامى بالضم خيرى البحر، زهرة أطيّب الأزهار وريحة
من أنعش الرياحين وكان العرب يأتون في حديثهم عن الرياض والمياه المنسابة،
ثم يقرنون ذلك بريح الخزامى.

ورائحة الخزامى تنتشر خاصة بعد هطول المطر، وقد فرق عبيد بن
الأبرص بين الرائحة الطيبة من عبير ملهمته وبين فوح الخزامى عقب المطر:
كان الصبا جاء لطمية من المسك لا تستطاع بالثمن الغالي
وريح خزامى في مذانب روضة جلا دمنها سار من المزن هطال^(٤)
ويصفها نابغة بني شيبان قائلاً:

ولها عينا مهارة في مها يرتعي نبت خزامى وننش
حرة الوجه رخير صوتها رطب تجنيه كف المنقش^(٥)
ورائحة أنفاس مي تشبه رائحة زهر خزامى اللوي الذي هبت عليه الريح
فجاء عطرا- قال ذو الرمة:

(١) كعب بن زهير؛ أبو عقبة بن وهير بين أبي سلمى المزني توفى سنة ٢٤هـ من المخضرمين. الديوان - ص: ٥٧ - حققه
وشرحه وقدم له الأستاذ على الناعور - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٧م.

(٢) النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب - نهاية الأرب - ص ١٨٢ - ج ١.
(٣) د. رشدي على حسن - شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني - ص ٧ - دار عمار - الأردن - ط ١ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
(٤) عبيد الأبرص - عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر، شاعراً قديماً من المعمرين شهد مقتل عمرو القيس، أنظر: ابن
قتيبة، ص: ٢٦٧ - الشعر وتأشعراء - تحقيق وشرح: أحمد شاكر - دار المعارف - مصر - ج ١ - ١٩٨٥ - الديوان - ص: ١١٩ - دار
صادر بيروت - ١٩٩٨م.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني - ص ١٢٥ - شرحه وكتب هوامشه: عبد علي مهنا - دار الكتب العلمية - بيروت - مج ٧ - ط ٢ -
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

كان علي فيها إذا رد روحها إلى الرأس روح العاشق المتهالك
خزامى اللوي هبت له الريح بعدما على نورها مج السري المتدارك^(١)
وربيعة بن مقوم الضبي يذكر الخزامي في مجال التشبيب فنراه يقول:
شما واضحة العوارض طفلة كالبدر في خلل السحاب المنجلي
وكأنما ريح القرنفل نشرها أو حنوة خلط خزامي حومل^(٢)
ثالثاً- وصف الأزهار في العصر الأموي:

كان من الطبيعي أن ينال الشجر والنباتات والأزهار والثمار نصيباً
وافراً من حديث الشعراء الأمويين لاتصالها المباشر بحياتهم وعلاقتها بحاجاتهم
التي يعتمدون عليها في مواجهة الحياة ومجابهة عوارضها.
وتشكل الرياض كما ذكر ياقوت: مائة وست وثلاثون روضة - سميت
بهذا الاسم، لاستراضة الماء فيها، وهي تكون مطمئنة يسيل إليها الماء فيستريح
يها، فتنبت ضروب من العشب والبقول.^(٣)
أما الأزهار فهي أقل ذكراً في الشعر الأموي من الشجر والنبات لقلتها في
أرض الجزيرة العربية وقصر موسمها التي تعيش فيه بسبب العوارض الطبيعية
القاسية.

ويعد الأبقوان كما أسلفنا أكثرها ذكراً تشبيهه بالثغور وقد أدرك هذه الصورة
جميل بن معمر وهو يص أسنان بثينة، فيول:
بذي أشر الأبقوان يزينه ندى الطل إلا أنه أملح^(٤)
فهو يشبه أسنان صاحبه بزهر الأبقوان الأبيض يزينه طل قطرات الندى
إلا أن ثنايا بثينة أجمل.

(١) ذر الرمة : الديوان: ص ١٧٢٦ - ج ٣.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني- الغاني ص ١٠٦ - مج ٢٢-٢- ١٩٩٢م.

(٣) إسماعيل أحمد شحادة- وصف الطبيعة في الشعر الأموي- ص: ٤٢-٤٣ - الرسالة- دار عمار- الأردن.

(٤) جميل بن معمر هو جميل بن عبد الله بن معمر الحارث بن طبيان، كان يقال له عبد الشمس- أي عدل الشمس لحسنه- أنظر الأغاني ص: ٩٠- دار الثقافة- بيروت- ج ٨- ١٩٥٨م- الديوان: ص ٣٩- شرح مراجعة د. عبد المجيد راقط - كنشورات ار الهلال- بيروت- ط ١- ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م.

ومجنون ليلي ثنايا صاجبته أقاح أو در منثور :
تبسم ليلي عن ثنايا كأنها أقاح بجرعاء المراضين أو در
منعمة لو باشر الذر جلدها لأثر في مدارجها الذر^(١)
وتسوق المعنى نفسه عليه بنت المهدي وتقول :
تضحك حتى لو سقت منه شفا من أقحوان بله قطر الندي
أغر يجلو عن غشاء العين الغشاء حلو بعيني كل كهل وفتي^(٢)
وعند عمار ذي كبار درجة من الجمال أكثر مساو، وذلك حينما يري الأسنان
ندي للتلح والأقحوان :

تفتر عن سمطين من برد متفلج عن حسن مبتسم
كالأقحوان لغب سارية جنح العشا ينير في الظلم
حم اللثا يروق ناظره ما عيب من روق ولا قضم
ترمي بكف رطبة خضبت وأنامل ينطفن كلاعنم
وبمقلة حوراء ساجية وبحاجب كالنون بالقلم^(٣)
كما عرف الأمويين من الأزهار - الخزامي - يقول جرير في ذكر الرسوم وما
علاها من عشبة الخزامي :

ذكرتنا مسك داري له أرج وبالحنى خزامي طلها الرهم *^(٤)

والراعي النميري يذكر نبات الخزامي لما له من رائحة تشبه المسك :

أنتا خزامي ذات نشر وحنوة وراح وخطام في المسك ينفج

(١) مجنون ليلي قيس بن معاذ بن الملوح أحد بني جعدة، لقب بالمجنون لذهاب عقله لشدة عشقه، أنظر: ابن قتيبة - الشعر والشعراء - ص ٤٦٧ - دار الثقافة - بيروت - ج ٣ - ط ٤ - ١٩٨٠ - الديوان - ص ٣٠ - سرحوتعليق د. محمد محمود - دار الفكر اللبناني - بيروت - ط ١ - ١٩٩٨ م.

(٢) عليّة بنت المهدي أمها مغنية يقال لها مكنونة كانت من جوارى المروانية، ليست من آل مروان هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس. أنظر الأغاني - ص ١٨٢ - شرحه وكتبه همامه عبد الله علي مهنا - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ج ١٠ - ط ٢ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٣) عمار ذي كبار - هو عمار بن عمرو بن عبد الأكبر يلقب بذي كبار، هكزاني كوفي كان لين الشعر ماجناً خميراً ومعافراً للشراب، نشأ في دولة بني أمية، كان لا يغادر الكوفة لضعف بصره، أنظر أبو الفرج الأصفهاني الأغاني - ص ٣٨٣ - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - دار الثقافة - بيروت - مج ٢٣ - ١٩٦١ م.

(٤) جرير الديوان - ص ٦٣٨ - شرح يوسف عبيد - دار الجبل - بيروت - مرجع ستبق * الرهم : المطر الخفيف..

كان خزامي عالج في ثيابها بعيد الكرى أو فار مسك تذيح^(١)
ورائحة تتبعث من ملابس سلمي ما هي إلا ريح للخزامي الذي أصابه المطر
الخفيف، قال جرير:

أوصل أنت سلمى بعد معتبة أم صارم الحبل من سعي فمصروم
كان نشر الخزامي في ملاحفها قد بل أجرعها طل وتهميم^(٢)
وقد تحمل الريح هذا العبير خاصة الجنوبية منها وهي لأنها رياح مشبعة
بالرطوبة مقترنة بالأمطار على نحو ما يقول الصمة القشيري:
إذا ما أتت لاريح من نحو أرضكم أتت برياكم فطاب هبوبها
أتت بريح المسك خالط عنبراً وريح الخزامي باكرتها جنوبها^(٣)
وقريب من هذا ما قاله المجنون:

ألا ليت شعري عن عوارضتي قنا لطول الليالي هل تغيرتا بعدي
ومن علويات الرياح إذا جرت بريح الخزامي هل تهب على نجد؟
وعن أقحوان الرمل ما هو فاعل إذا هو أسرى ليلة بثري نجد
ويتساءل الطرماح بن حكيم؟
أصاح الأهل من سبيل إلى نجد وريح الخزامي عضة من ثري جعد
وهل لليالينا بذى الرمث مرجع فتشفي جوي الأحزان من لا عج
الوجد

والريحان .. نبت طيب أتى الشعراء على ذكره في مديحهم وغزلهم، فجرير يمدح
القرشيين وينسبهم ب الريحان .. بينما تجده يهجو التيم ويجعلهم كراث وثوما:
الطيبون من الريحان منبتهم ومنبت التيم في الكراث والثومويحلق
المجنون في دنياه، فيرى النياق تهتز في مشيتها وتهز معها الهودج، فتخاف
ليلي على شعرها أن يتبعثر فتتشر حوله خمارها، وتتبعث رائحة الريحان والعنبر
والورد مع هذه الحركة:

إذا رحن يسجين الذبول عشية ويقتلن بالألحاظ أنفسنا عمداً

(١) جميل بن معمر - الديوان: ص ٤٥ - جمع وتحقيق د. حسين نصار - مكتبة مصر - دار مصر للطباعة .

(٢) جرير - الديوان - : ص ٦٦٠ - مرجع سابق.

(٣) الصمة - القشيري؛ هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بم قرّة بن كعب بن ربيعة شاعر إسلامي بدوي مقل . أنظر : أبو الفر
الأصفهاني - الأغاني - ص ٣ -، مج ٦ - حسن مصطفى حسن - نباتات في الشعر العربي ص ٨٣ - مرجع سابق.

مشي عطيلات رجح بخصرها روادف وعتات ترد الخطا ردأ
وتهتز ليلي العامرية فوقها ولانت بسب الغز ذا غدر جعدا
إذا حرك المدري ضفائرها العلا مجنن ندى الريحان والعنبر الوردا^(١)
وذكر الشعراء نبات زهر الحوذان أثناء حديثهم عن الإبل فالقطامي يرسم
هذه الصورة، الحادي يجنب أبله نبات الحوذان ويوردها أبار القدير لأن الجو
حار، حتى أن الكتان على برودته كان يحترق، يقول:
ثم استمر بها الحادي وجنبها بطن التي نبتها الحوذان والنفل
حتى وردن ركيات الغوير وقدكاد الملا من الكتان يشتعل^(٢)
ومن الأزهار التي عرفوها أيضاً القرنفل والكافور، وإلى جانب هذه الأزهار عر
الشعر الأموي مجموعة من الفواكه: كالعنب، الأترنج والتفاح.^(٣)

رابعاً- أسباب ندرة وصف الأزهار في العصرين الجاهلي والأموي:

لم يول الشعراء في هذين العصرين الطبيعة الساكنة وهي التي يجري فيها
ماء الحياة في السماء والأرض فتشمل أجرام السماء ، وأفلاكها ونجومها،
وكواكبها، وسحبها وغيومها، وبروقها. كما تشمل صحاري الأرض ورياضها
ونجدها وجذبها وخفيها. العناية التي أولوها الطبيعة المتحركة وليس ذلك معناه
أنهم قصرُوا منها أو صدوا عنها فكان لهم في تصويرها ونعتها ما يخلد أدب أي
أمة.

فحياة العرب قائمة على الانتجاع، والإرتحال والانتقال سعياً وراء الكأ ويبحثاً عن
الماء الذي ينبت الكأ، فيقيمون حين يحلون، ويوقدون نيرانهم، ويجتمع

(١) أبو الفرج الأصفهاني- الأغاني- ص ٨١- مرجع سابق.

(٢) القطامي؛ عمير من شبيب من تغلب، زان حسن الشبيب رفيقه- أنظر ابن قتيبة- الشعر والشعراء ص ٦٩- ج ٢.

(٣) إسماعيل شحادة- الطبيعة في الشعر الأموي- ص ١٠٤- ١٠٨- بتصرف- مرجع سابق.

فتيانهم إذا لم يكن هناك حجاب مضروب، ولا شرك منصوب فتنشأ صلات وود
وحب .. ثم يكون عود إلى الأوطان بعد أن جف الزرع - واشتد الغيظ، ورمضت
الأرض، فيتذكر الشعراء تلك الساعات، وما كان بينهم من لقاء وفراق، وقرب
ونأي، ثم يصفون الأماكن التي نزلوا بها والديار التي رحلوا عنها، والآثار التي
تركوها لذلك كانت أوصاف الأطلا أهم أوصاف الطبيعة الساكنة وأكثرها في
شعرهم تناولاً.^(١)

فكان العرب الجاهليون يعيشون في شبه الجزيرة، وكانت هذه البقعة
صحراوية قاحلة، وأرض هذه الصحراء غير صالحة للزراعة لعدم وجود ما تحتاج
إليه من ماء، فلا أنهار تجري بانتظام، أو ينابيع تفيض باستمرار، وأن ما كان
يسقط على البلاد من أمطار قليلة كان يشرب جزء كبير منه في باطن الرمال،
أما بقية بلاد العرب تسمى نجداً، فما كانت الأمطار تزورها إلا لمالما في أشهر
الشتاء والربيع وكان من أثارها أن تنبت الأعشاب في أواسط هذه الصحراء
الجرداء.^(٢)

كما أن طبيعة المناخ وما فيها من جفاف وقلة المياه، وملوحة التربة لم
تساعد النباتات على النماء والأزهار، لذلك توزعت الأماكن الخصبة ذات العيون
والأمطار.

والعرب قليل منهم أهل حضر، وأغلبهم بدو عيشتهم لا تنتهي ما بين حل
وارتحال، وحركة واضطراب والسبب في ذلك أن أرض الجزيرة لم تكن صالحة
للزراعة في جملتها فهم يتربعون السيول التي تتسرب بين الرمال فتنبت لهم
الأعشاب.

وكان في أثر هذا القلق والاضطراب أن جعلوا الخيام مأواهم، ينقلونها إذا
ارتحلوا ويجيئون بها، فكانت الحياة محددة وأبواب المعيشة ضيقة، والفقر منتشر
في كثير من طبقاتهم، فتنشأ العرب في تلك البادية الواسعة الخالية من مظاهر

(١) عبد العظيم قناوي- الوصف في الشعر العربي- ص ٢٢٥- ج ١ ط ١- ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.
(٢) د. بهيج مجيد العطار- الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي- ص ٣٣٩- ٣٤١- منشورات دار الأفاق الجديدة- بيروت- ط ١- ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

الحضارة، شمي محرقة، جبال كثيرة، وديان متشعبة وزروع قليلة، ومياه نادرة، ونباتات محدودة، يترقبون المطر في السماء، ينتجعون إلى الكأ في الصحراء، لا يأويهم بنيان ولا تضمهم جدران.

يقول الأستاذ محمد هاشم عطية: (فإن من شأن تلك الحياة أن تجعل الطبائع البشرية أقوى وجوداً وأشد التهاباً، وأكثر تأثيراً، يهيحها الحب، وبطيش بها الغضب، وتهزمها الرعبة ويسودها الطرب). فنستطيع أن نقول أن لتلك الحياة الساذجة، والبداوية الواضحة والبساطة الظاهرة، والحرية الكاملة والقضاء الإلهي الخالي من صناعات المدينة الكاذبة، والعمران الممدود أثراً بارزاً في كلامهم عامة وشعرهم خاصة.^(١) يعتبر دي بوس: (أن أسباب الطبيعة لها نصيب في النهضات المدهشة للآداب والفنون).

ويدرك كل العالم أن طبيعة المناخ تؤثر في منتجات البلدان .. فلا بد ان يكون للمناخ تأثيراً قوياً بصفة خاصة على أعضاء الدماغ أو أجزاء الجسم البشري التي تتضمن في الحديث عن الروح، والميول البشرية من ناحية طبيعة، لأن هذه الأجزاء هي تركيب أكثر حساسية من غيرها فهو بصفة خاصة يؤثر في اعتدال وعدم اعتدال أمزجتنا.

وقد أدرك النقاد شيئاً من هذه النظرية الطبيعة فعرفوا ما للمكان من هواء خاص، وما لهذا الهواء من أثر في تكوين نفسية الأشخاص بلونه وتلوين إنتاجهم الأدبي بهذا اللون، يروي المزرباني هذا المعنى عن محمد أبي العتاهية إذ يقول: (أنشدت أبي العتاهية شعراً فقال: (أخرج إلى الشام .. قلت لم ؟ قال: (لأنك لست من شعراء العراق، أنت ثقيل الظل، مظلم الهواء جامد النسيم).

فأبو العتاهية هنا يفرق بين بيئة العراق والبيئة الشامية، ونتاجاً لها فظله كظلمها وهوائه كهوائها. فلبينة الشام إذاً جو خاص يؤثر في الجو النفسي لأبنائها وهذا بدوره يتضح أثره في ما ينتجون من أعمال أدبية. وكذلك يصور

(١) إبراهيم علي أبو خشب- د. محمد عبد المنعم- بحوث في الأدب الجاهلي ص ٣٧-٤٧- بتصرف- مطبعة لجنة البيان العربي- بيروت- ١- ١٩٦١م.

لنا القاضي الجرجاني هذا الفهم حين يقول: (وقد كان القوم يختلفون .. فيرق شعر أحدهم، ويصعب شعر الآخر، ويسهل لفظاً أحدهم، ويتوعر منطق غيره، وإنما ذلك حسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودمائة الكلام بقدر دماثة خلقه).

فإذا أضنا كلامه إلى كلام أبي العتاهية نتج لنا أن البيئة الطبيعية بما فيها من مناخ تؤثر في بيئة الإنسان في خلقه ومزاجه وتؤثر بذلك في أدبه.^(١) وانطلاقاً من هذا الواقع الطبيعي وعلى قلة الخير في بلاد العرب وعدم تنوع وسائل الحياة، وكثرة انتشار الافاقة والبؤس، وكثرة الجائعين والمحتاجين، نشر البؤس غشاوة على العيون، وحجب أصحابها عن نور الحق.^(٢)

ولذلك كان الإحساس بالجمال ضئيلاً وكانت الأزهار أقل ذكراً في الشعر في هذين العصرين بسبب العوارض الطبيعية القاسية التي تمر بها، ولهذا كانت غير واضحة في أذهان الشعراء كما أن طبيعة الحياة لم تترك لهم الوقت الكافي تى يتفرغوا لاستقصاء وصفها إضافة لكونها غير متعلقة بحياتهم المعاشية ولهذا كان ذكرها في مواضع الغزل والتشبيب أغلب وكما أسلفنا الذكر يعد الأقحوان أكثرها ذكراً لاقتترانه بوصف الثغور عند المرأة التي كانت الملهم الثاني بعد الطبيعة لشعارهم وشذو قرائحهم فمن الورد الخدود - ومن الأقحوان صورة الضحك والابتسام - وانبعث رائحة الخزامي من أردانها وهكذا وفي ذلك يقول أبو القاسم الشابي في محاضرة بعنوان شعر الطبيعة في الأدب العربي القديم بنادي الخلدونية سنة ١٩٢٩م: (إن العصرين الجاهلي والأموي قد كانا خاليين أو كالخاليين من الشعر الذي يتغنى بمحاسن الكون ويشبب بجمال الطبيعة إلا بعض المقالات القصيرة بين الحبيبة في جمالها والروضة في نضارتها ...).

على أنه علل جذب إحساسهم لجذب مناخهم وعري أرضهم: وهي (قطعة قاحلة لا يعترض العين فيها غير الموامي المغفرة الموحسة والصحاري الضامية المترامية) يذهب في ذات المعنى ويقول: (على حسب ما في الإقليم من جمال وروعة تكون شاعرية الأمة .. وعلى حسب طلاقة الجو أو قطوبه تكون نفسيات

(١) د. عز الدين إسماعيل - الأسس الجمالية في النقد العربي - عرض وتفسير ومقارنة - ص : ٢٦٤-٢٦٧-٢٦٨ - بتصرف - دار الفكر العربي - بيروت - ط ٣ - ١٩٧٤م.
(٢) د. بهيج مجيد القطار - الطبيعان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي ص: ٣٤١ - مرجع سابق.

الأمم والشعوب - فإن كل الجو طلقاً ضحوكاً كان روح الأمة مفراحاً مرحاً وإن كان الجو جهماً عبوساً كان روح الأمة داجياً مكتئباً ويضيف بأن عدم اختلاطهم بغيرهم من شعوب الأرض اختلاطاً من شأنه أن يلطف الطبع ويرقق المزاج.^(١)

وعلى ذلك فوصف الرياض ضئيل أو يكاد يكون معدوماً إلا إذا جاء عارضاً في مجالس الأنس والسمر وما فيها من متع ذلك لرتابة المناظر الصحراوية ولقلة إطلاع القوم على ما جد وعدم المناخ البيئي فهو أن يطارد لقمة العيش من صحراء تقذف به إلى صحراء.^(٢)

والأزهار مرتبطة بالاستقرار والهدوء النفسي الذي يعكس مكونات جمالها وهذا ما لا يتأتى لبديوي تلقية النجود إلى النجود.

من ذلك كله يتضح لنا أن الشعاعين الجاهلي والأموي كانا مقلين في وصف الأزهار لأسباب طبيعة بلادهما التي تكون خالية منها بالإضافة إلى أنها لم تكن تجول بخاطرهما كثيراً - فالجاهلي يبكي الطلل ويصف الأهوال الصحراء ويعرج إلى وصف ناقته وفرسه أينما سار وارتحل ... وعلى ذات النهج كان الأموي وإن كان قد ظهر الترف بعض الشيء في العصر الأموي إلا أن ضوءه كان خافتاً في نفوس الشعراء.

(١) مجلة - حوليات - الامعة التونسية- العدد الثالث والعشرون- ص٧- تونس - محمد اليعلائي- شعر الطبيعة في الأدب العربي القديم- ١٩٨٤م.

(٢) عبد العظيم قناوي- الطبيعة في الشعر الجاهلي- ص٩٤- دار النهضة العربية - بيروت- ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤.

المبحث الثاني

وصف الأزهار في العصر العباسي

هل العصر العباسي كانت الصورة الحضريّة والخيال المدني المترف، ولم تعد الروضة التي يصفها العباسي هي الروضة البدوية القطرية لكنها أصبحت روضة مصنوعة تحشد فيها صنوف الورد والرياحين التي لم يعرفها العرب وتنسق تنسيقاً رقيقاً تجري من خلالها الجداول وتغني فيها الأطيّار والبلابل التي لم تعرفها بادية العرب مما استجلب وشحد من وسائل الترف ووجدت خيالاً مترفاً يستمد عناصره من المدنية فينسب رقة ..

فالموضوع الجديد في الوصف كانت نتيجة للانقلاب الحضاري الذي أحدث حياة متطورة وقد تناول الشعراء وصف الرياض والفصول وأولوا الربيع عناية خاصة في أشعارهم - وترتب على وصفهم الطبيعة اهتمام كبير منهم بالأزهار والورود وإعطائها مكانة كبيرة. ^(١)

وهذه الأزهار كانت أنواعاً مختلفة كالورد والنرجس والياسمين والاس والسوسن - تلك الزهرة الخضراء اللون التي كان يقدها الفرس - وقد خص شعراء هذا العصر بعض الأزهار بموضوعات قائمة بذاتها في شعرهم الوصفي فأجادوا .. أمثال ابن الرومي والبحتري والصنوبري وبشار وأبو نواس - وغيرهم. وقد حفلت أرجوزة ابن المعتز التي يفضل فيها الغبوق على الصبح بأنواع عديدة من هذه الأزهار في قوله:

أما ترى البستان كيف نورا	ونشر المنثور بردا أصفرا
وضحك الود إلى الشقائق	واعتنق الغصن اعتناق وامق
في روضة كحلة العروس	وخرم كهامة الطؤوس
وياسمين في ذرى الأغصان	منتظم كقطع العقايان
والسرو مثل قصب الزبرجد	قد استمد الماء من ترب ندي
والسوسن الأزرق المنثور الحل	كقطن قد مسه بعض البلبل

^(١) (أحمد محمد عبد الباقي - معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري - ص ٣٣٧ - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط ١ - ١٩٩١ م.

وحلق البهار فوق الآس جمجمة كهامة الشماس
وجلنار مثل جمر الخد أو مثل أعرف ديوك الهند
والأقحوان كالثنايا الغر قد صقلت أنواره القطر (١)

وتتمتع زهرة الأقحوان بلونها الأبيض الناصع فنجدها دوماً في مواضع تشبيه
ثغور الحسان عند الشعراء على نحو قول البحتري:

بعينك ضوء الأقحوان المفلج وألحظ عيني ساحر اللحظ أدعج (٢)
وتشبيه الشيب به من التشبيهات النادرة ولا يرد إلا قليلاً وقد أتى به البحتري في
قوله:

عزلتنا في عشقها "أم عمرو" هل سمعتم بالعازل المعشوق
ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة في شروق
ولعمري لولا الأفاحي لأبصرت أنيق الرياض غير أنيق
وقال ابن المعتز فيه:

رأت أقحوان الشيب لاح وأذنت ملاحات أيام الصبا بوداع (٣)
وهناك لحظة وله مغرقة في الرمزية عند الفاضل التتوخي حينما تأمل التفاف
الأقحوان ذي الأزهار البيضاء حول الشقيق الأحمر الأزهار كأنما هي أسنان
تعض ورد الخدود! وعلى بعد منها لمح النرجس فخاله عيون طالت بها اليقظة
وجافاها النوم:

رياض حامت الثريا حلا كان غزلها للرعود
نثر الغيث در دمع عليها فتحلت بمثل در العقود
أقحوان معانق لشقيق كثغور تعض ورد الخدود
وعيون من نرجس تتراءى كعيون موصولة التسهيد
وكأن الشقيق حين تبدي ظلمة الصدغ مفجوعة بفقيد (١)

(١) ابن المعتز - الديوان - ص ٧٥٤ - ٧٥٥ - شرح د. يوسف شكري فرحات - دار الجيل - بيروت - ط ١ - ١٩٩٥ م.

(٢) البحتري - الديوان - ص ٤٥١ - تحقيق حسن كامل الصيرفي - دار المعارف - مصر - ج ١ - ١٩٦٣ م.

(٣) المرجع نفسه - ص ٤١٥.

ومن البعد إلى القرب الذي يكون فيه الهمس لغة مدركة ضحكت عن قرب فكانت الأقاحي
وكان الحديث وكان أن نزلت في الفؤاد كما يعكس ذلك بشار - والبيت الثاني نسب إلى
بشار ولم أجده في القصيدة:

ولها مضحك كغر الأقاحي وحديث كالوشي وشي البرود
نزلت في السواد في حبة القلب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت: نلّك بعد ليال والليالي يبيلن كل جدير
عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات يأكلن قلب الحديد (٢)
ولزهرة الشقيق التي وقفنا عندها في العصر الجاهلي أوصاف جميلة عند شعراء العصر
العباسي. وقد وصفها ابن الرومي بقوله:

أشفاق النعمان بين ربي نعمان أنت محاسن النعم
غدت الشقائق وهي واصفة ألا ذي الجبروت والعظم
ترق لأبصار كحان بها يرين كيف عجائب الحكم
شعل تزديك في النهار سنى وتضيء في محلولك الظلم
أعجب بها شعلاً على فحم لم تشتعل في ذلك الفحم
وكان لمع السواد إلى ما أحمر منها في ضحى الرهم
حدق العواشق مقلّاً نهلت وعلت في دموع دم
هاتيك أو خيلان غانية أضحت بها الأبصار في القسم (٣)

ويضرب ابن الرومي في الرمزية لحظة وداعها وكيف ارتجفت الأيدي وكيف
تتابعت حبات الدمع في عين هدها الحزن على وجنتيها، وقد كستها الحمرة
كأنهن شقائق النعمان:

^١ (السيد احمد الهاشمي - جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب - ص ٣٣٩ - ج ٢ - مكتبة
المعارف - بيروت.

^٢ (بشار بن برد بن يرجوخ، كنيته أبو معاز، ولقبه المرعث لأنه كان في أذنه رعة (قرط) أبوه من فرس
طخارستان - توفي سنة ١٦٧ هـ - أنظر احمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربي - الديوان - ص ٦٥
- شرح وتحقيق حسين حمدي - دار الجيل - بيروت - ج ٢ - ط ٢ - ١٩٩٩ م.

^٣ (ابن الرومية: أبو الحسن علي بن العباس بن جرجيس، مولي عبيد الله بن علي، رومي الأصل، ولد
ببغداد ٢٢١ هـ - وتوفي سنة ٢٨٤ هـ. أنظر احمد حسن الزيات - الديوان - ص ٢٠٧ - شرح أسامة
حيدر - دار الجيل - بيروت - مج ٢ - ط ٢ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

لست أنسى امتناع صبرك للتو
وانحذار الدمع كاللؤلؤ الرطب
في رياض من الشقائق والنسرين
ويقول صفي الدين في الربيع:

ديع البين موذن بشتات
هوي من مدامع قرحات
فوق المراشف البارادات (١)

وتوجت هام الغصون وضرجت
وكأنما الأغصان سوق رواقص
قد قيدت بسلاسل الريحان (٢)

ويقول كشاجم:

فأنظر بعينك أغصان الشقائق في
من كل مشرقة الأوراق ناضرة
حمراء من صبغة الباري بقدرته
كأنما وجنات أربع جمعت

فروعها زهر في الحسن أمثال
لها في الغصن إيقاد وإشعال
مصقولة لم ينلها قط صقال
فكل واحدة في صحنها خال (٣)

وقريب من هذا التشبيه ما قاله الحسين بن الضحاك:

وأبيض في حمر الثياب كأنه
سقاني بكفيه رحيقاً وسامني
والثريا مجموعة كواكب في عنق الثور وقد راها الشعراء كأنها رياض الربيع تزينها الشقائق
وكان بريقها قلائد بخرز احمر مثل ابن الرومي :

كان الثريا إذا تجمع شملها
وقد لمعت حتى كان بريقها
رياض ربيع فصلت بشقيق
قلائد درر فصلت بعقيق (٤)

وابن الرومي يشبه الشقائق بخدود النساء الجميلات فيقول :

تصوغ لنا كف الربيع حدائقاً كعقد عقيق بين سمط لالى
وفيهن أنوار الشقائق

خدود عذارى نقطت بغوالى (٥)

(١) ابن الرومي - الديوان = ص ٥٤٥، ٥٤٦ - مرجع سابق

(٢) صفي الدين الحلي - الديوان - ص ٩٩ - دار بيروت للطباعة والنشر - كرم البستاني - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م.

(٣) كشاجم: هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن شهاب السندي وقيل له السندي لأن جده كان هندياً كما سمي أيضاً الرملي لأنه كان يسكن في شيبته بالرملة .. - النويري - نهاية الأرب - ص ٢٨٤، ٢٨٥ - ج ١١.

(٤) الحسين بن الضحاك

(٥) الصنوبري: الديوان - ص ٣٨٥ - ٣٨٦ - مرجع سابق.

ويقول الصنوبري فيه :

على قضب تميد بهن ضعفا	وجوه شقائق تبدو وتخفى
عليها من عميم النبت سجقا	تراها كالعداري مسبلات

تنازعت الحدود الحمر حسناً	فما إن أخطات منهن حرفاً
إذا طلعت أرتك السرج تزكى	وان غربت أرتك السرج تطفأ
تخال إذا هي اعتدلت قواماً	زجاجات ملئن الخمر صرفاً
يزيد هن روض الحزن حسناً	إذا ما زهرهن بهن حفاً ^(٢)

وإذا تعرضنا للورد تلك التي اهتم بها الإنسان فتكثر الإشارة إليها في مجالات التشبيهوأبو الطيب المتنبّي يمدح سعيد بن عبدا لله بن حسين الكلابي بقوله :أو كنت زمناً لكنت الربيع و لكنت أخلاقك الورد:

تأبى خلا يقق التي شرفت	الا تحن فتذكر العهدا
لو كنت عصراً منبتاً زهرا	كنت الربيع وكانت ألوردا ^(٣)

وقول أبي عينة :

أرى عهدها كالورد ليس بدائم	ولأخير فيمن لا يدوم له عهد
وعهدي لها كالأس حسناً وبهجة	له نضرة تبقى إذا ما انقضى الورد
فقلت لأصحابي هي الشمس ضوؤها	قريب ولكن في تناولها بعد ^(٤)

وفى رواية أوردت في نهاية الإرب أن البيت لأبي دلف عندما كتب إلى عبدا لله بن طاهر وقال له:

أرى ودكم كالورد ليس بدائم	ولا خير فيما لا يدوم له عهد
وحبي لكم كالأس حسنة وروعة	له زهرة الاوسيدها الورد
وودك كالأس الميرير مذاقه	وليس له في الطيب قبل ولا بعد

وأرجح أن يكون البيت لأبي دلف وذلك من خلال رده وتقليده لما قيل له ويراه إبراهيم بن المدبر تتساقط دموعها فيزداد صيره فيقول :

(٢) المتنبّي أبو الطيب احمد بن الحسين الجعفري اشعر شعراء زمانه قضى أيام شبابه بالشام .انظر :احمد حسن الزيات -تاريخ الأدب العربي .الديوان -ص :٢٥٠ -وضعه عبد الرحمن البرقوق -دار الكتاب العربي -بيروت - ج ١ - ١٩٨٠ .

(٣) أبو عينة كنيته ابوالمفضال وهو ابن عينة بن المصلب بن صفرة . انظر لاغاني -تحقيق عبد الستار احمد فراج -دار الثقافة -بيروت -ج٢٥-١٩٦٥ م .

أدمعها أم لؤلؤ متناثر يندى به ورد جنى ناضر
هذا الزمان تسومني أيامه خسفاً وها أنا عليه صابر (١)
ويصورها أبو نواس تلطم وجهها الوردي بين يديها المخضبتي حزنًا في
مأتم بمنزل عبد الوهاب الثقفي :
يا قمرًا أبرزه مأتم يندب شجواً بين أتراب
بيكى فيندى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
ويصف الوءاء الدمشقي دموع صاحبيه باللؤلؤ المتناثر في أعين هي النرجس وقد
تسقى ورد الخدود.

قالت وقد فتكت فينا لوا حظها لم ذا أما لقتيل الحب من قود
وأسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد
وحال المتنبى دائماً حين ينفعل يستخرج صورة عميقة البعد تعبر ألامان
فهو يصف نفسه بالورد وبقية الناس بأنوف الإبل أولى بها عود الخشخاش بدلاً
من شم الورد.....يشير إلى ضياع قدره بينهم ويقول لأبى العشائر انه مشرق
والناس ظلام لقلة الخير فيهم وهو يقصد كما تقصد النار ليلاً:
أرى الناس الظلام وأنت نور وأنى منهم لا ليك عاش
بليت بهم بلاء الورد يلقي أنوفا هن أولى بالخشخاش
والورد أنواع كثيرة اشهرها الأحمر والأبيض قال ابن المعتز :
أهدت إلى نفسي الفداء لها الورد نوعين مجموعتين في طبق
كان أبيضه من فوق أحمره كواكب أشرقت في حمرة شفق
ويصف الطغرائي شجيرات الورد الأصفر قائلاً :
شجيرات ورد اصفر بعثت في قلب كل متيم طربا
من ذا رأى من قبلها شجراً سقى اللجين فثمر الذهباً

(١) ابراهيم بن المدبر أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق. انظر -الاغاني- ص ١٥١ مج ٢٢.

(٢) أبو نواس -الديوان- ص ٢٤٣ -حققه احمد عبد المجيد الغزالي -دار الكتاب العربي -لبنان -١٩٨٢م.

(٣) الوءاء: أبو الفرج محمد بن احمد الغساني -كان في شببته دلا لا في سوق الفواكه بدمشق -انظر: حسن احمد الزيات -تاريخ الأدب العربي- ص ٧٩٥ شهاب الدين احمد بن الفاتح -المستطرف في كل فن مستظرف- ص ٣٨٢ -دار الكتب العلمية-بيروت -ج-٤ -١٩٨٠م.

(٤) ابن المعتز - الديوان - ص ٣٩٦ - د.يوسف فرحات -الجيل -بيروت -ط -١٩٩٥ م .

خرطت نهود زبرجد حملت أجوافها من عسجد لعبا
شبهتها بخريدة طرحت من الخضر من أثوابها لها
والورد الأبيض يتبدى كمعشوق كلما توافت عليه النجوم أظهرت ما يعتليه
من حمرة على بياض وجه على نحو ما يقول ابن المعتز :
أتاك الورد محبوباً مصوناً كمعشوق تكنفه صدود
كان بوجهه لما توافت نجوم في مطالعها سعود
بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الخدود
وهناك شمعة تحترق يصف الشاعر ابوبكر الارجاني شعلتها بالورد فيقول :
غريقة في دموع وهى تحرقها أنفاسها بدوام من تلظيها
يخشى عليها الردى مهما الم بها فنسيم الريح إذا ما وافى يحيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعة تجنى على الكف إذا أهويت تجنيها
ورد تشاك له الأيدي إذا قطفت وما على غصنها شوك يوفيهما
ونتجول في وسم الربيع فنستمع إلى الحسين بن على يقول :
قد حكمت الأرض السماء بنورها فلم أر في التشبيه أيهما السماء
عن نرجس لم أرى حسن نفسه تداخله عجب به فتبسما
وأبدى على الورد الجني تطاولاً فظهر غيظ الورد في خده دماً
وزهر شقيق نازع الورد فضله فزاد عليه الورد فضلاً وقدماً^(١)

(١) المرجع نفسه- ص ٣٣٥

عندما ترك الصنوبري نفسه للورد أعطاة بجمالة ورنقة نفساً أخرى - هذه المنفس جائتته من ألوان الورد المختلفة من الابيض والاحمر والاصفر الذي كأنه كأن مغروساً في العصف، وعندما أخرج من العصف صار لونه كالعروس ليلة عرسها.

وهبت للورد نفسي فطبت بالنفس نفساً
من ابيض فاق نوعاً واحمر راق جنساً
كأنما غمسته في العصف اليد غمسا
وما كان لما تبدي الا عروسا وعرسا
وصلته وصل مثلى لحظاً وشما ولمسنا
ولو يمس بقلب افناه قلبي مسا^(١)

ويقول البحتري فيه :

اما ابصرتهم شموي دجن علي قضي مهفهفة دقاق
وابدين الخدود كعورض ورد وماء الحسن في ادم رقاق.

وزهرة النرجس يورد لها البستان في الجزء الثاني صفحة ٢٠٥٩ وصفا بانها نبت من الرياض أصله بصل صغار يشبه بورق الكراث الا انه ارق منه واصغر ، وله ساق جوفاء ليس عليها ورق وطولها يتجاوز الشبر ، وعليه زهر ابيض مستدير - الواحدة نرجسة معرب نركس بالفارسية^(٢) ، وهو من طلاع ازهار الربيع ويشبه بالعيون^(٣) وهي من الازهار التي استجلبت الي الحدائق والقصور ، وهنالك اشارات تدل علي استيراد علي هيئة ابصال ، ويقول عمر بن الورد من قصيدة طويلة في الحكم يقول :

قيمة الانسان ما يحسنه اكثر الانسان منه ام اقل
انما الورد من الشوك وما ينبت النرجس الا من بصل^(٤)

(١) الصنوبري- الديوان - ص ٢٠٠ - مرجع سابق

(٢) البحتري - الديوان - ص ١٥٥٥ ج ٤

(٣) د. رشدي علي حسن - شعر الطبيعة في العصر العباسي - مرجع سابق.

(٤) السيد الهاشكي - جواهر الدب - ص : ٣٩٨٧ - حققه: لجنة من الجامعين - مؤسسة المعارف - بيروت - ج ٢

وصفي الدين الحلي يصف الازهار بجواسيس الحقائق :

ولم انس اذا زار الحبيب بروضة وقد غفلت عنا وشاة ونوم
وقد فرش الورد الخدود ونشرت لمقدمه للوسوس الغض اعلام
اقول وطرف النرجس الغض شاخص الينا والمنام المام
ايا رب ...؟ حتي للحداق اعين علينا وحتى في الرياحين نمام^(١)
وفي التشبيب يقول الحسين بن الضحاك:

وصف البدر حسن وجهك حتي قلت وما اراكا اراكا
واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمني يعلنني منك باسراقه ذا ونفحة ذاكا.^(٢)

وتشبيه الأسنان به يعتبر من التشبيهات النادرة التي قلما ترد نحو قول البحري
مشبها له بالثغور:

ابدي ثناياه فقلنا له أوراق النرجس ام طلة
وجنته حمرا مصقولة وجسمه من برد كله^(٣)

وكما اخذ بعض الشعراء تصويرهم للورد من المعادن النفسية والأحجار الكريمة
الملونة - اخذوا أيضا هذه الالوان في تصوير للنرجس ، فشبهوه بالذهب والفضة
واللؤلؤ ، والياقوت والزبرجد.. قال البحري مشبها النرجس بعقود من اللؤلؤ.
وفي زمان كان نرجسه الغض سموط من لؤلؤ وفريد^(٤)

(١) صفى الدين الحلى - الديوان - ص ٥٥٩ - كرم البستانس - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٨٣ .

(٢) ابوالفرج الاصفهاني : الاغانى - ص ١٩٢ - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - مج ٧ - ١٩٣٥ م.

(٣) ابن المعتز - الديوان - ص ٥١٤ - كمرجى سابق

(٤) المرجع نفسه - ص ٣٠ - مج ٢

وجمع الشعراء بين تشبيه النرجس وبالعيون وتشبيهة بالمعادن النفسية علي نحو ما نري في قول عبيد الله بن طاهر.

ترنو باحد اقها اليك كما ترنو اذا خافت اليعافير
مثل اليواقيت قد نظمت علي زير جد بينها كاقور
كان العيون وهي ترمقه دراهم وسطها دنانير^(٥)

ويقول ابن المعتز في النرجس:

أما تري النرجس المياس يلحظنا الحافظ ذي فرح بالعتب مسرور
كأن أحداقها في حسن صورتها مداهن التبر في اوراق كافور
كأن طول الندي فيه لمبصره دمع ترقرق في أجفان مهجور^(٦)
فانه يري من الناس من يتعانق من شدة العشق ومن الأزهار ما يتعانق
في منبته ومغرسه .

ويشبه الصنوبري بعيون در تشققت عن يواقيت فوق الأرض الخضراء.

أرايت احسن من عيون النرجس أو من تلاحظين وسط المجلس
در تششق عن يواقيت علي قضب الزمرد فوق بسط السندس
أجفات كافور حسن باعين من زعفران ناعمات الملمس
وكأنها اقمار ليل احدثت بشموس دجن فوق غصن املس.
مغرورقات في ترقرق ظلها ترنوا رنو الناظر المفترس.^(١)

^(٥) عبيد الله بن طاهر ، كنيته أبو أحمد - كان شاعرا أدبيا ولي إمرة بغداد ونيايتها عن الخليفة - ولد سنة ٢١٣ هـ وتوفي سنة

٣٠٠ هـ - انظر : الاغاني - ص: ٣٩ - ج٦ - النويري - نهاية الارب - ص ٢٣٥ - مرجع سابق

^(٦) ابن المعتز - الديوان - ص٢٣٥ - ٣٣٦ - مرجع سابق

^(١) الصنوبري الديوان - ١٨٠-١٨١

فهو يقول لا يوجد أبهي وأجمل من النرجس فهو در مرصع بالياقوت
علي فروع قضيب الزمرد ، ويشبه اخضرار الأرض ببساط السندس ، وهو يشبه
الكافور مخلوط بالزعفران ، ويشبهه بالأقمار في الليل والشموس في الصباح ،
هذه العيون مليئة بالدموع فهي تنظر إليك بإمعان.

ويقول فيه ايضا انه يفرح العيون بمنظره وبطيب النفوس برائحته الذكية
وهو بلونة الابيض مثل القمر وبلونة الاصفر مثل الشمس.
فيا عجباً من اختلاط الوانه فكانما الماء مزجت بالخمير في بداية الاكؤس.
ما إن رأيا نرجس مضعفاً أكثر من ذا قط في مجلس
بل ما رأينا مثلنا نرجساً أحسن في الأعين والأنف
بيض وصفرة فوئ خضر من الاغصان يحكي خضره السندس
مقمرة مشمسة بيننا يا عجباً للمقمر المشمس
مثل اختلاط الماء بالراح في أول ما تمزج الاكؤس (٢)

بين الورد والنرجس... كان ابن الرومي محبا للنرجس وهو من الشعراء الذين
فتنوا به وفضلوه علي جميع الازهار ، ويرسم في قصيدة له صورة طريقة يتخيل
النرجس بتبادل النظرات مع الندامي كانه واحد منهم:

ياحبذا ريحانه لانف مغبوق ومصبوح
كأن في طيب أرواحه ركب من روح ومن روح
ياحسنة في العين يا حسنة من لامح للشرب ملموح
كأنما الطل علي نوره ماء عيون غير مسفوح

(٢) المرجع نفسه - ص: ١٩٩، ٢٠٠

وعقد ابن الرومي موازنة طريفة بين الورد والنرجس علي الورد محاولاً إثبات ذلك بالمنطق العقلي ويعتبر هذا من أنواع الصراع الحسي الذي أقحمت فيه النباتات .

للنرجس الفضل برغم من زعم علي صنوف الورد والفضل قسم
العين قبل السن وهي المبتسم فما لها والخذ هو الملتطم
وما طيب الريح وما أذكي النسيم ما هو إلا نعمة من نعم^(١)
وهو يريد أن العين تقدم علي السن ، والسن موضع التبسم ، فأين يقع الخد منها وهو
مكان اللطم.

وله قصيدة دالية مشهورة كال فيها الثناء للنرجس وتحامل فيها علي الورد وألصق به
كل نقيصة:

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلاً توردها عليه شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه إلا ونائلة الفضيلة عاند
فصل القضية أن هذا قائد زهر الرياض وأن هذا واعد
شتان ما بين أثنين هذا موعد يتسلب الدنيا وهذا واعد
وإذا أحتفظت فأمتع صاحب بحياته لو أن حيا خالد
للنرجس الفضل المبين وإن أبي آب وحاد عن الطريقة حائد
من فضله عند الحجاج بأنه زهر ونور وهو نبت واحد
يحكي مصابيح السماء وتارة يحكي مصابيح الوجوه تراصد
ينهي النديم عن القبيح بلحظه وعلي المدامة والسماع مساعد
أطلب بعفوك في الملاح سمية أبدأ فإن لا محال واجد
والورد لو فتشت فردا في اسمه ما في الملاح له سمي واحد
هذي النجوم هي التي ربيتها بحياة السحاب كما يربي الوالد
فتأمل الاثنين من أدناهما شباها بوالد فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نفاسة ورياسة لو لا القياس الفاسد^(٢)

يبين ابن الرومي أن حمرة الورد ليست عرضاً طبيعياً فيه لكنه من بالخجل
لتفضيله النرجس عليه ، ولو كان يشعر بفضله علي النرجس ما عراه
الخجل، وأخذ يعقد موازنة معددا مزايا النرجس .. فذكر أنه قائد زهر الربيع لأنه
يخرج متأخراً ، وشتان بين من يبشر بإقبال الدنيا ونضرها ومن ينذر بأدبارها
وأنقضاء زهرتها ، النرجس لحلاوة أسمه تسمي به الحسان ولا تجد للورد بين الملاح ،

(١) ابن الرومي: ص: ١٤٥٢-ج ٤

(٢) المرجع نفسه ص: ٦٤٣-ج ٢٠

ثم ختم القصيدة في سخرية كيف ترقى الحدود إلى مكانة العيون في جلاله القدر
ونباهة الشأن لو لا الأقيسة الفاسدة.

فقد راح رأس الياسمين منورا كاقراط در قمعت بقيق
يميل على ضعفى الغصون كأنما له حالتا ذغشية ومفيق
إذا الرياح أدته الى الأنف خلته نسيم جنوب ضمخمت بخلق^(١)
وقال الشمشاطى فى دوحة جمعت بين الأبيض والأصفر:
وياسمين قد بدا لونين قراضه من ورق عين
ركن فى زبرجد وعين والصفر لون عاشق ذى بين^(٢)

السوسن:

قيل فى التاج : السوسن فارسى معرب ، وهو صنفان : الابيض أطييه ، وفى
مفردات ابن البيطار السوسن ثلاثة أصناف .
وللسوسن ساق عليها زهر منحنى ، فيه ألوان تشبه بعضها بعضا ومن أجل ذلك شبه
بالارساء وهو قوس قزح^(٣)
وهو جنس زهر مشهور من الفصيلة السوسنية له أنواع برية كثيرة فى الشام^(٤).

وأما ما جاء فى وصفه فقال الأخطل الاهوازى:
سقىا لرض اذا ما نمت ارقنى بعد الهدوء بها قرع النواقيس
كان سوسنها فى كل شارقة على الميادين اذئاب الطواويس^(٥)
وقال أيضا:

وكان سوسنها سبائك فضة غص البنات فازرق واحمر
حكمت سيط الطل فى ورقاته فكانه متبسم مستعر^(٦)

النسرين:

هو نور ابيض وردى يشبه شجرة الورد ونواره كنوار ، وسماه البعض وردا
، وكلما بعد الماء قريت رائحته (والنسرين ورد برى)^(٧) .

واما ما جاء فى وصفه .. قال شاعر منشدا:

(١) النوير - نهية الأدب - ص ٢٣٦ - مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه - ص: ٣٣٧.

(٣) المرجع نفسه - ص: ٢٧٣.

(٤) العلامة الشيخ عبد الله العيلالى - الصحاح فى اللغة والعلوم: مادة - سوس - مرجع سابق.

(٥) النويري - ص: ٣٧٥ - مرجع سابق

(٦) المرجع نفسه - ص: ٢٦٧.

(٧) العلامة الشيخ عبد الله العيلالى - الصحاح فى اللغة والعلوم: مادة: تمنج) مرجع سابق.

اكرم نسرين تزيع الصبا من نشره مسكا وكافورا
ما ان راين قط من قبله زير جدا يثمر بلورا^(١)

وعبد الرحمن بن على النحوى يصفه بعبارات رقيقة:

زان حسن الحقائق النسرين فالحجا فى رياضه مفتون
قد جرى فوقه اللجين والا فهو ماء فضة مدهون
اشبهته طل الحسان بياضا وحوته شبه القدود غصون^(٢)

الجلنار: زهرة الرمان وهى فارسية^(٣)

يقول البحتري فى المديح :

لى حبيب قد لج فى الهجر جدا واعاد الصدود منه وابدا
مر بى خاليا فاطمع فى الوصل وعرضت بالسلام فردا
وثى خده الى على خوف فقبلت جلنارا ووردا^(٤)
وقال يمدح ابا صقر :

صبغ خد يكاد يدمى احمرارا ووردة فى العيون او جلناره^(٥)
وقال فى مديح ابو حميد:

لك من ثغره وخديه ما شئت من الاقحوان والجلنار^(٦)
ويتناول الصنوبرى زهر الجلنار قائلا:

ايها الكاشحون فكور اسيرا هو اولى الورى بفك الاسار
فشفاء السقام فى جلنار نجتيه من وجنتى جلنار^(٧).
وفى ذات المعنى يقول:

عائق فى الدنان بكر أدارتها علينا عواتق أبكار

(١) النويري- نهاية الأرب- ص: ٢١٤- مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه- ص: ٢١٥.

(٣) المنجد فى اللغة والأعلام- مادة جلن.

(٤) البحتري الديوان- ص: ٧١١- ج ٢- مرجع سابق.

(٥) المرجع نفسه - ص: ٨٥٢.

(٦) المرجع نفسه - ص: ٩٠٦.

(٧) الصنوبري: الديوان، ص: ٧٢- مرجع سابق.

كل مجدولة يجول وشاحها على خصرها ويشجى السوار^(١)

الآذريون:

زهرة من المركبات الأنبوبية ، يرتقالي اللون يكثر على شواطئ البحر
الابيض المتوسط يزرع فى الحدائق^(٢) .

والآذريون ورد اصفر لا ريح له البتة ، وهو صنف من الاقحوان وفيه ماء نواره
احمر ، واسمه بالفاسية آذركون ، ومعناها لون النار^(٣) .

قال بن الرومى:

وخرم فى صبغة الطيالة يحكى الطواطس عزت مطاوسه

كانما تلك الفروع المائسة تغمسها فى اللاذرية غامسه^(٤)

والسرى الرفاء يشبهها بنوافج المسك تثير قلب المشتاق:

وروضة آذريون ذر بوسطها نوافج مسك هيجت قلب مهتاج

تراها عيونا بالنهار روانيا وعند غروب الشمس أزرار ديباج^(٥)

ويشبه بكانون فحم حوله لهب على نحو قول الطغرائى:

وكان آذريون روضتنا كانون فحم حوله لهب

او جام جرع وسطه سبج او سور مسك جامه ذهب^(٦)

يصفه ايضا الشمشاطى فى ذات المعنى قائلا:

وخرم مثل لون اللاذرية منها على فضة بيضاء جاريها

كأنها خدود اللاطمات ضحى او الطواويس خلتها خوافيها^(٧)

ويقول فيه الصنوبرى مشبهه فى أغصانه بخيام من المسك فصلت بسرdaq من

ذهب:

كان آذريونها من فوق تلك القضب

خيام مسك فوقها سرداق من ذهب^(٨)

(١) الصنوبري ، الديوان-ص: ٧٧- مرجع سابق.

(٢) المنجد في اللغة والأعلام- مادة أذ

(٣) النويري- ص: ٢٧٧- مرجع سابق.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٢٧٧.

(٥) المرجع نفسه- ص: ٢٧٧.

(٦) المرجع نفسه - ص: ٢٧٧.

(٧) المرجع نفسه- ص: ٢٧٧.

(٨) الصنوبري: الديوان-ص: ٤٦٠- مرجع سابق.

وتشبه هذه الابيات ابیات ابن المعتز التي يقول فيها:
عيون كان آذريونها للشمس فيها كالية
مداهن من هب فيها بقايا غالية^(١)

البهار:-

البهار بفتح الباء هو الأقحوان الأصفر عند بعضهم ، ويسمى عين البقر
وكانت تسمى عامة الاندلس - خبز الغراب- ويسمى بالبربرية (إملال)
وبالفارسية كأوشجم ، ومعناها عين البقر . وهو نبات له ساق رخصة يشبه بورق
البايونج لكنه اكبر اشبه بالعيون وينبت بالدمن^(٢).

استخدم الشعراء في وصفه بعض التي استخدموها في وصفهم للاقاحي ، فوصفه
البحترى بالشعر الضحاك في قوله:

ضحك البهار بارضها وتشققت فيها عيون شقائق النعمان^(٣)
ويتشبهه ابن الرومي بالشمس :

فيها شمس للبهار وآرسه^(٤)

وهو تشبيه نراه عنده في بيت آخر:

ذی نجم من خدامی وشموس من بهار وآسة^(٥)

وابن المعتز يصفه وقد جمع بينه وبين الآس وذكر السوسن الابيض وكيف انه
كقطن مسه بلل:

والسوسن الأبيض منثور الحلل كقطن قد مسه بعض بلل

وحلق البهار فوق الآس جمجمة كهامة الشمس^(٦)

ويقول البحتري في الغزل:

نشر الربيع برود مكرمة خضراء يقوم بنشرها الشعر

وكان صفر بهارها ذهب وكان حمر شقيقتها جمر^(٧)

(١) ابن المعتز الديوان- ص: ٧٢- مرجع سابق.

(٢) العلامة الشيخ عبد الله العلي- الصحاح في اللغة والعلوم- : ماء- بها- النويري- نهاية الأرب- ص: ٢٨٥- مرجع سابق

(٣) البحتري- ص: ٢٣٧٧- ج- مرجع سابق.

(٤) ابن الرومي- الديوان- ص: ٩٥٦- تحقيق: عبد الله الأمير مهنا- منشورات مكتبة الهلال- بيروت- ج ٣- ط ١- ١٩٩١.

(٥) المرجع نفسه- ص: ٩٥٦.

(٦) محمد عبد المنعم خفاجة: ابن المعتز تراثه في الأدب والنقد والبيان- ص: ٣٨٧- مرجع سابق.

(٧) البحتري- الديوان- ص ١٠٤٢- مرجع سابق.

الآس:

الآس نوعان : برعى ، وبستانى فالبرى هو الذى يسمى بدمشق - قف
انظر - سمي بذلك لحسنه ، ورقه عربض محدب يشبه سنان الرمح ^(١) .

وابن الرومى يقول ان من شبهه بالياسمين ما أنصفة لأسباب لطيفة:

ماانصف لآس بالسمين مشبهه ولآس منه مكان الياء مفقود
والياسمين اذا حصلت احرفه فالياس منه مكان الياء معدود
ان الدليل على هذا تناثر ذا وان ذاك على الايام موجود ^(٢)

يقول البحتري فى مدح عبدالله بن محمد بن طاهر:

سهر اصحابك بعد طول نعاس لصدود أغيد فائن مياس
مثل القضيب على الكتيب مهفهف من بانه او من فروع الآس ^(٣)

وقال يمدح سعيد بن محمد:

صبغت خلائقك الحسان بنورها القمري سود خلائق اللاس
أبدا يذكرنى اهتزازك للندى عمل الجانب * فى قضيب لآس ^(٤)
ويشبهه بطرائق الفضة واللآذر فقال:

والماء حاشيته حضروان من آس وورد
تحية ابدى الريح ان هبت على قرب وبعد
بطرائق من فضة وطرائق من لآذر ^(٥)

والصنوبرى يصف مجلسا له لم غير الزهر جلاس فيقول:

سلمت من يوم جلسنا به مافيه الا الزهر جلاس
اضاف آذريون بيض انواع خيرى واجناس
جرت كؤوس بيننا سرعا كانها فى الجرى افراس
ثم ظللنا ليس منا فتى تسعده رجل ولا راس

(١) النويري: ص: ٢٤١-٢٤٢ - مرجع سابق.

(٢) ابن الرومى - الديزان - ص: ٦٥٠ - ج ١.

(٣) البحتري - ص: ١١٦٥ - مرجع سابق.

(٤) ابن الرومى - ص: ١١٧٨ - ج ٢ - مرجع سابق - الجنائب: هي الريح الجنوب.

(٥) المرجع نفسه - ص: ٤١٦.

نميل من ثقل الكرى مثلما يميل من ثقل الندى الاس^(١)
ويلاحظ على الشعر فى بيئة العراق انه كان آخذا فى التمدن والتطور
الذى عم الحياة العباسية والميل الى الترف ، فتهذب الذوق العام ، ورقت
احاسيسة فتاثر بجمال الطبيعة الساحرة وبالمناظر الحضارية .. ومن هذا المنبع
الحضارى استمد الشعراء تشبيهاتهم من الرياض والأزهار ورأوا فيها مصدرا
خصبا يأخذوا منه صورهم ويشكلونها من موادها .

(١) الصنوبري _ الديوان - ص: ١٨٢ - مرجع سابق.

المبحث الثالث

وصف الأزهار فى العصر الأندلسى

إذا كانت الدولة العباسية تمثل جناح الدولة الإسلامية فى المغربى ، فقد انبلج صبح دولة الأندلس ممثلا الجناح الثانى للدولة الإسلامية فى المغرب العربى ففى تلك البقعة الأسبانية الوادعة ، التقى الشرق بالمغرب التقاء تعايش وتمازج ، اختلط العنصر العربى بالعنصر الأندلسى فكان نتيجة طبيعية لذلك تأثير متبادل فى الأخلاق والأذواق ، والمرء مسوق بحكم طبعه الى التكليف بالبيئة واعواملها وكل ما فى الأندلس من مباحج وفتنة يدعوا الى هذا السبيل^(١) وكانت الطبيعة اهم ماجذب انظار الوصافين ، وصفت الرياض وأنوارها والحدائق وازهارها بل انطقت الأزهار فتفاضلت ، واجرى الثناء على لسانها فمدحت . وأكثر الأندلسيون فى وصف الأزهار ، كما فعل شعراء الطبيعة فى حلب ، فوصفوا الورود والنرجس والشقائق والنيلوفر ، والياسمين والقرنفل – وغيرها مما وقعت عليه عيونهم^(٢) .

واخرج شعراء المغرب العربى شعرا لا يقل جودا وجمالا عن اخوانهم فى المشرق – فكان بن خفاجة ، وابن الزقاق ، وابن مروان الجزيرى الذى يعد من ابداع شعراء تلك الفترة فهو القائل على لسان بهار المنبة العامرية:

حدق الحسان تقرى وتغار وتصل فى صفتى النهى وتحار
طلب على قضبى عيون كمائى مثل العيون تحفها الاشفار
واخص شئ اذا شبهتتى درر تتطبق شكلها دينار
اهدى له قضب الزمرد ساقه وحباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم ببديع تركيبى فقيـل بهار^(٣)

(١) أحمد هيكـل- فى الأدب الأندلسى- ص: ٣١٠- مكتبة الشباب القاهرة ط١- ١٩٦٢م.

(٢) د. مصطفى الشكعة – الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه- ص: ٢٧٧- دار العلم للملايين- بيروت- ط٥- ١٩٨٣

(٣) مروان الجزيرى؛ أبو مروان عبد المل بن ادريس الأسدي من أهل قرطبة ولاه المنصور الشرطة ثم ديوان الإنشاء (الوزارة) سجنه المظفر ثم قتله كان كاتب وشاعر مكثر فنونه والمدح والعتاب والوصف والحكمة أمظر: عمر فروخ -تاريخ الأدب العربى فى المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامى إلى آخر عصر ملوك الطوائف- ص: ٢٢٤- أميليو غرسية- تطور الشعر العربى المشرق- الشعر الأندلسى- ترجمة حسن مؤنس – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٤٩م.

وروضة غناء تفتح تفتح فيها النور الابيض يصفها بن برد الاندلسى وصفا يتعلق
بعض بعضا فى ويسر ، يرسم صورة البهار وقد شق كمامته عن نور:
تأمل فقد شق البهار مقلصا كمامته عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى انامل فضة على ازرع مخروطة و فى زبرجدى ^(١)
وزهرة الأقاح تنمو عادة هى زهر الشقيق فى مكان واحد متقاربين
صديقتين ومن ثم فان الاقاح ببياضه الناصح وما يتوسط نورته من لون ذهبي
يلعب دائما بخيال الشعراء ، فياتون فيه بصورة خلابة ، ومن ذلك ما انشده
الأسعد بن إبراهيم بن بليطة:

احبب بنور الاقاح نوارا	عسجده فى لجينه حارا
اى عيون صورن من ذهب	ركب فيها اللجين اشعارا
اذا راي الناظرون بهجتها	قالوا نجوم تحف اقمار
كان ما اصفر من مؤسطه	عليل قوم اتواه زورارا ^(٢)

يقول الحسن بين الزقاق فى ابيات رقيقة فى حمى روضة يانعة جمعت من
الازهار والشقائق والاس والاقاح حوارا طريفا فى شان الاقاح تنتهى الى قضية
خفيفة :

واغيد طاف بلكؤوس ضحى	وحثها والصباح وقد وضحا
والروض اهدى لنا شقائقه	واسه والعنبرى قد نفحا
فلنا: واين الاقاح ؟ قال لنا: اودعته ثغر من سقى القدحا	
فظل سابق المدام يجحد ما	قال فلما تبسم افتضحا ^(٣)

وبن صارة الاندلسى يفضل الاقاحى على الورد:

تمنيت منه قبلة حين زارنى	فضيلة تثبت فى الخد والخد
--------------------------	--------------------------

(١) النويري- نهاية الأرب- ص: ٢٨٥- ج ١١- مرجع سابق.

(٢) الأسعد بن إبراهيم بن بليطة؛ أبو القاسم الأسعد ولد بقرطبة وكان فارساً يكتسب بالخدمة في ديوان الجند وكان ناثراً وشاعراً مجيداً أبرز فنونه الوصف والغول أنظر: عمر فروخ- تاريخ الأدب العربي- ص: ٤٩١- نقلاً عن مصطفى الشكعة الأدب الأندلسي مضوعاته وفنونه - ص: ٢٨٨- مرجع سابق.

(٣) ابن الزقاق ؛ أبو الحسن على بن إبراهيم ، ولد في بلنسية سنة ٤٩٠ هـ، كان شاعراً وجدانياً رقيقاً نحسناً وهو بارع في وصف الطبيعة . أنظر عمر فروخ - تاريخ الأدب العربي- ص: ١٧٤- وا بعدها - ج ٥- الديوان ١٢٤ - تحقيق عفيفة محمود ديراني

وقلت له جود لى بثغرك ابنى اقوى بتفضيل الاقاح على الورد^(١)
وأما زهرة الشقيق فقد احتفل بها الاندلسيون احتفال المشاركة بها فابن حمديس
يبدى اعجابه بها فى استوائها مثل القيان المشططة وقد قمن يرقصن فى الغلال
الحمراء فيقول:

نظرت الى حسن الرياض وغيماها جرى دمه منهن فى عين الزهر
فلم ترعيني بينها كشقائق تبللها الارواح فى القضب الخضر
كما مشطت غيد القيان شعورها وقامت لترقص فى غلائلها الحمر^(٢)
وابن خفاجة فى وصفه للشقائق يصفى عليها مسحة مربية فجعل من أزهاره جيوشا
تحت القمم والمراقب يقول :

ياحبذا والبرد يزحف بكرة جيشا رحيق دونه وحريق
حتى اذا ولى واسلم عنوة ما شئت من سهل وذروة نبق
اخذ الربيع عليه كل ثنية فبكل مراقبة لواء شقيق^(٣)
ولما كانت ابرز صفات الشقائق ذلك اللون الأحمر الغاني فقد عمد الشعراء الى
الإكثار من الإضفاء عليها مهمة الحرب ، على نحو قول أبو الفضل عياض ابن موسى بن
عياض يصف الشقيق بين الزروع:
فيقول :

انظر الى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتائبا تجفل مهزومة شقائق النعمان فيها جراح^(٤)
وربما كانت ابيات ابن الزقاق فى الشقيق ارق ماله الاندلسيون فى هذه الزهرة الرقيقة
البهيجة وان كان قد اقام عليها (حد السرقة) حسب التعبير الفقهي حين جعلها مذنبه فى
نظر الغمام سارقة حمرة الخدود:

رياض فى الشقائق اضحى يتهاذى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يلجد منها زهرات تروق لون الراح
قلت ما ذنبها ؟ فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح^(٥)

(١) ابن صارة الاندلسي؛ الأستاذ الأديب محمد بن عبد الله بن عبد البر (قليل الحظ إلا من الحرمان) كان اعرأ بارعاً متقدماً فنونه المديح والثناء. أنظر: عمر فروخ - تاريخ الأدب العربي- ص: ١١٥ - وما بعدها- ج-٥- ابن صاره حياته وشعره - ص: ٦٩ قدمه د. مصطفى عبد الكريم.

(٢) ابن حمديس - الديوان- ص: ١٩٢- صححه د. أحسان عباس- دار صادر - بيروت- ١٩٦٠
(٣) ابن خفاجة- الديوان- ص: ٢٨٧- تحقيق: د. السيد مصطفى غازي- منشأة المعارف - مصر- ١٨٦٩م.

(٤) الفتح بن خاقان- قلاند العيقان فى محاسن الأعيان - ص: ٤٢٢- دار صادر - بيروت- د. ط. د. ب. د. ت.
(٥) ابن الزقاق- الديوان- ص: ١٢٥- مرجع سابق.

يقول بين صارة الاندلسي:

هذا الثناء الى زمان مشرق أهدى إليك شقائق النعمان
قامت فرادى فى سوق زبرجد صيغت عليه مجامر العقيان^(١)
ولكنثرة الورد فى الأندلس فقد اغرم الشعراء بوصفه اكثر من غرامهم بقية
الأزهار ، وعقدوا فيها المجالس البهيجة ، وهذا احد أبناء الملوك بالأندلس يرى
وردا كثيرا منثورا على صفحة خليج تكسرت صفحاته بفعل الرياح فيقول:
نثر الورد بالخليج وقد درج اموهه هبوب الرياح
مثل درع الكمي مذاقها الطعن بها دماء الجراح^(٢)
ومن أجمل ما قيل فى الورد رقم وصف ذوق وجميل افتتان قول ابن غالب
البلنسى الرصافى الرفاء:
فى قوله:

ياوردة جادت بها يد متحف فهمى لها دمعى وهاج تأسفى
حمراء عاطرة النسيم كانها من خد مقتبل الشبيه مترف
عرفت تذكرنى دما من صاحب شربت به الدنيا سلافة قرقف
فنشقتها نشقا وقلت لصاحبى هى تمج الأرض من دم يوسف^(٣)
ونجد العالم المحدث ابو القاسم بن ورد فى طرفة له يؤكد غرام الاندلسيين
ورد ، فوقف وكتب اليه:

شاعر قد اتاك يبغي اباه عندما اشتاق حسنه وشذاه
وهو بالباب مصغيا لجواب يرتضيه الندى فماذا تراه^(٤)
ولما قراء صاحب البستان البيتين علم انه ابن ورد واقسم فى النزل اليه
ونثر من الورد ما استطاع بين يديه.

(١) مقالاً عن مصطفى الشكعة- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ٠ ص: ٢٨٦- مرجع سابق.
(٢) الرصافي البلنسى، أبو عبد الله محمد بن غالب عائش في مالعة عيشة لهو ومجانة توفي في رمضان سنة ٥٧٢ هـ أنظر: عنر
فروخ- تاريخ الأدب العربي في المغرب والاندلس- ص: ٤٣٠- ج ٥- الديوان ص: ١١١- قدم له د. إحسان عباس - دار الثقافة -
بيروت ط١- ١٩٦٠م.
(٣) المرجع نفسه ص: ٢٨٦.

وابن خفاجة عمد الى وصف زهرتين مجتمعتين ورد وقد نشر عليه نوار النارينج
وشبه النوار فى ابيضاضه ثغرا يقل خدا احمر فقال:

وصدر ناد نظمنا له به القوافى عقدا

فى منزل قد سبحنا بظله العز بردا

قد طنّب المجد بيتا فيه وعرس وفدا

تذكو به الشهب جمرا ويعقب الليل ندا

وقد تارج نور غض يخالط وردا

كما تبسم ثغر عذب يقبل خدا^(١)

ويصف بن عبد ربه الوجوه المنعمه الموافرة الصحة كأنها ورد يقطف
بالنظرات الخاطفة فيثير فى القلب الأشواق الدفينة:

وجوه جرى فيها النعيم فكللت بورد خدود يجتبى بعيون

فكيف ولى قلب اذا هبت الصبا اهاب بشوق فى الضلوع دفين^(٢)

وغاية القول والعاطفة الجياشة نراها مرة اخرى عند ابن عبد ربه :

ادعو أليّك فلا دعاء يسمع يامن يضر بناظريه وينفع

للورد حين ليس يطلع دونه والورد عندك كل حين يطلع^(٣)

والمهلبى الوزير يقول:

والورد بين مضمخ ومضرج والزهر بين مكلل ومتوج

طلع النهار ولاح نور شقائق وبدت سطور الورد تلو وبنفسج^(٤)

وزهرة النرجس لم يكثر الشعراء الاندلس فيها القول على نحو المشاركة

وحتى الأبيات التى قيلت فيها لم يكن جديد بل هى تقليد ، فأبو محمد عبد الحق

بن عطية الفقيه الشاعر يصف بركة نرجس : فيقول:

نرجس باكرت منه روضة لذ قطع الدهر فيها وعذب

(١) ايم خفاجة- الديوان- ص: ٧٧- مرجع سابق.

(٢) ابن عبد ربه الأندلسي- أبو عمر أحمد بن محمد أموي بالولاء- ولد بقرطبة ونشأ فيها اشتهر بالعلم والرواية وطول البال في الشعر والكتابة-أنظر حسن أحمد الزيات - تاريخ الأدب العربي - ص: ٣٢١- العقد الفريد- ص: ٣٩٨- رح أحمد أمين- ط٣- ١٩٧٣م.

(٣) المرجع نفسه ص: ٤٠٠.

(٤) المرجع نفسه ص: ٤١٢.

حنت الريح بها خمرا حيا رقص النبات لها ثم شرب
فغدا يسفر عن وجنتيه نوره الغض ويهتز طرب
خلت لمع الشمس في مشرقه لها يحمل منه لهب
وبياض الطل في صفرتة نقط الفضة في خط ذهب^(١)
وابن صارة الاندلسي يقول في النرجس:

وحديقة من نرجس وبهار دفعت لواء الحسن للنظار
فكانما هذا الضحى متهلل وكانما هذا او حيل نهار
اخوال امهما معا شمس الضحى وابوهما قمر النهار السار
شربا سلافة القطر حتى عريدا وتراجما بكواكب الأزهار^(٢)

واذا كان الاندلسيون لم يكثروا القول في النرجس فانهم اكثروا في الياسمين ،
وكان اكثر من فتن بزهرة الياسمين الخلفاء والأمراء، فالمعتضد بالله بن محمد بن عباد
يصفها ويشبها بكواكب مبيضة في السماء ، وتشبه الشعيرات الحمراء التي تسرح في
صفحتها بخد حسناء بدت في آثارها الغض فيقول

كانما ياسميننا الغض كواكب في السماء تبيض
والطرق الحمر في جوانبه كخد حسناء مسه عض^(٣)

واما المعتمد ابو القاسم بن عباد فيشبها على اغصانها الخضراء الملتفة بدارهم
منثورة على ثوب اخضر فيقول:

وياسمين حسن المنظر يفوق في المرأى وفي المخبر
كأنه من فوق أغصانه دراهم في مطرف اخضر^(٤)

وقال احمد بن عبد الرحمن القرطبي:

ولقد خلناها سماء زبرجد لها انجم زهر من الزهر الغض
تناولها الجاني فوق الارض قاعدا ولم ار من يجنى النجم في الأرض^(٥)

(١) عبد الحق غالب عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من أهل غرناطة كان من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير والأدب استقصى لمدينة المرية. أمطر: قلند الإعيان - ص: ٦٥٥.

(٢) د. مصطفى عبد الكريم - ابن صارة الأندلسي حياته وشعره - ص ٥٠ - مرجع سابق.

(٣) نقلاً عن مصطفى الشكعة - الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه - ص: ٢٨٣ - مرجع سابق.

(٤) أبو القاسم بن عباد؛ القاضي أبو القاسم بن اسماعيل ذي الوزارتين قيل أنه من نسل النعمان بن المنذر، كان عاقلاً كريماً وأديباً وماظماً، برع في الوصف والفخر أنظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي - ص: ٤٧٠ - ج ٥ - نقلاً عن مصطفى الشكعة ص: ٢٨٣ - مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق نفسه ص: ٢٨٤.

ويجنح المعتمد الى التشبيهات الملوكية فيعود ويشبه الياسمين الخضراء ،
بالجوهرة بين احجار الزمرد :

ياحبذا الياسمين إذ يزهر فوق غصون رطبية نضر
قد امتطى للجمال ذروتها فوق بساط من سندس اخضر
كأنه والعيون ترمقه زمرد من خلاله جوهراً^(١)

ولم يقف الإعجاب بالمعتمد عن الياسمين المألوف – بل تعداه الى صف الظيان
وهو الياسمين البرى الذى قال فيه عن طريقته الملوكية:

ترى ناضر الظيان فوق غصونه غد هو من ماء السحائب يغتذى
وحفت به اوراقه فى رياضه وقد قد بعض مثل بعض قد حذى
كصفر من الياقوت يلعب بالضحى منضدة من فوق قضب الزمرد^(٢)
ولزهرة النيلوفر الجميلة مكانة عند الشعراء الاندلسيين ، فالمعتمد يصفها فى حذق
ويقول :

ياناظرين ندى النيلوفر البهج وطيب مخبره فى الفوح والاراج
كانه جام در فى تالقه قد احكموا وسطه فصا من السبج^(٣)
واما ابن حمديس فيقول فيه :
ونيلوفر أوراقه مستديرة تفتح فيها بينهن له زهر
كما اعترضت خضراء التراس وبينها عوامل ارماح فى اسنتها حمر
هو ابن بلادى كاغترابى اغترابه كلانا فى الاوطان ازعجه الدهر^(٤)

ويصفها ايضا مشبها اياها بالخنجر فى قوله:

كأنها اذا أزهرت بالسنة انطقها للمهين الذكر
خناجر من حناجر نزعت فهي فى الماء من دم حمر^(٥)
ووصف ابوبكر الزبيدي الاندلسى :

وبركة احيا بها كاؤها من زهرها كل نبات عجيب

(١) مصطفى الشكعة – الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته - ص: ٢٨٤ - مرجع سابق

(٢) المرجع نفسه ص: ٢٨٤.

(٣) المرجع نفسه - ص: ٢٨٧.

(٤) ابن حمديس - الديوان - ص: ١٨٥ - مرجع سابق.

(٥) المرجع نفسه ص: ٢٢٢.

كان نيلوفرها عاشق نهاره يرقب وجه الجبيب
حتى اذا الليل بدا نجمه وانصرف المحبوب خوف الرقيب
اطبق جفنيه فى الكرى ليبصر من فارقه عن قريب^(١)

وزهرة القرنفل تبدو فى سماء الزهريات الاندلسية متاخرة بعض الشئ ومع ذلك
تسحر لب شاعر أصيل هو عبد الله محمد بن يوسف زمرك فيصفها قائلاً:
أتونى بنور يروق نضارة كخد الذى اهوى وطيب تنفسه
وجاءوا به من شاهق متمنع تمنع ذاك الطيبى فى ظل مكنسه
رعى الله منى عاشقا متقنعا بزهر حكى فى الحسن خد مؤنسه
وان هب خفاف النسيم بنفحه حكى عرفه طيبا قضى بتأنسه^(٢)

ويمضى بن زمرك فو وصف القرنفل جاعلا منه سلما الى غزل رقيق قائلاً:
رعى الله زهرا ينتمى لقرنفل حكى عرف من اهوى واشراق خده
ومنبتة فى شاهق متمنع كما امتنع المحبوب فى تيه صده
اميل اذا الاغصان مالت بروضه اعانق منها القضب شوقا لقده
واهفوا بخافق النسيم اذا سرى واهوى اريج الطيب نت عرف نده^(٣)

ويلتقط بن خفاجة زهرة الخيري ذات المنظر الناعم الهادى والعبير الفواح العطر
الذى يفوح ليلا فيرسم لها هذه الصورة :

وخيرية بين النسيم وبينها حديث اذا جن الظلام يطيب
لها نفس يسرى مع الليل عاطر كان له سرا هناك يريب
يدب مع الإمساء حتى كأنما له خلف أستار الظلام حبيب
ويخفى مع الإصباح حتى كأنما يظل عليه للصباح رقيب^(٤)

(١) النويري- مرجع سابق ص: ٢١٩-٢٢٠.

(٢) نقلاً عن مصطفى الشكعة- ص: ٢٩٠- مرجع سابق.

(٣) ابن زمرك؛ أبو عبد الله محمد بن يوسف، أصله نت شرقي الندلس، ولد سنة ٧٣٣هـ في غرناطة، كان جيد الفهم أكبر فنونه شعر المديح قتل أوائل سنة ٧٩٦هـ. أنظر: عمر فروخ - تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس- ص: ٥٦٩- وما بعدا- ج ٦- المرجع نفسه ص: ٢٩٠.

(٤) ابن خفاجة - الديوان ص: ٨٢ _ مرجع سابق.

فابن خفاجة أجرى حديثاً بين الخيرية والظلام كل ليلة ، ثم يركز الشاعر على اريج الزهرة وشذاها الذي لا يفتح الا ليلاً - فخلق صورة غزلية بارعة. بين أن شعراء الطبيعة في الأندلس استطاعوا ان يقوموا من خلال وصفهم للأزهار صورة نضيرة ولوحات جذابة ، وان كان بعضهم انتهج نهج المشاركة في الوصف ولعل مراجع ذلك الرحلة الدائمة بين الشرق والغرب من عملية وادبية ، واقتصادية ، وكان كثير منهم يذهب الى بغداد للاستماع الى فطاحل شعراء ويهدف الى التجدد .

فالدولة العربية بالاندلس كانت مناهضة لمثيلتها في بغداد فكان من الطبيعي ان ينافسوا في حياتهم السياسية في بغداد ، وكان من الطبيعي كذلك ان تستلزم هذه المنافسة السياسية مظاهر الحياة العامة ، فكانوا يحفلون بالغناء والموسيقى على نحو ماكان في بلاط الرشيد والمأمون^(١)

والملاحظة من وصف الازهار في هذين العصرين انه لم تكن الرياض بما فيها من خمائل وغصون وازهار وورود متنوعة بكافة لكي يلجأ الشعراء اليها بل انهم تلمسوا الجمال في جزئياتها ، تلمسوه في الازاهير ثم عادوا فانشدوا قصائدهم وابياتهم في كل زهرة بعينها .

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجة، الأدب الأندلسي التطور والتجديد - ص: ٢٢٧- دار الجيل بيروت_د.ت.

الفصل الثالث

الدراسات الفنية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مفهوم الصورة الفنية

المبحث الثاني: دراسة فنية لأرهار من حيث :

- اللغة والأسلوب
- الاحيلة والمعاني
- الموسيقي

المبحث الأول

مفهوم الصورة الفنية

أولاً : مفهوم الصورة الفنية :

يرتبك النقاد كثيراً حينما يتناولون مفهوم الصورة الفنية في الشعر ، ولعل مرد هذا الارتباك يرجع إلي خطورة الموضوع ، إذ إن قضية الصورة تعد من أشد القضايا خطورة في النقد ، ولعل مرد خطورتها أنها تتصل اتصالاً مباشراً بنظرية المعرفة في الفلسفة أو ترتبط بنظرية الإنسان إلي الكون وأنها تحمل في حناياها حقائق شعرية تتأى بها عن الزخرف الشعري وعن صندوق الاصباح وعن البلاغة^(١) .

ولقد تعرض مصطلح الصورة الفنية منذ أرسطو * إلي اليوم لاستعمالات متعددة إذ استخدمه أرسطو بمعنى متيز ثم راج بعد ذلك بفضل حركة السرياليين خاصة ، إلا أن ثورة اللسانيات كانت السبب في دفع هذا المصطلح إلي الهامش لصالح مفاهيم ومصطلحات البلاغة المورثة مثل التنشئة والاستعارة والمجاز المرسل ، ومع أن البلاغيين الجدد كثيراً ما دفعوا إلي الوجود علي الرابطة التي تجمع بين الاستعارة والتنشئية فقد وجدوا في المصطلح الصورة أحسن جامع بينهما .

كما أن للصورة يف اللغة ثلاثة دلالات - الشكل ، النوع والصفة ، ولقد وردت لذلك شواهد في القرآن الكريم والسنة النبوية قال تعالى : (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ...) ^(٢) .

(١) د. نصرت عبد الرحمن - الصورة الفنية في الشعر الجاهلي - مكتبة الاقصي - ط ٢ - ١٩٨٢م * أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٣ ق.م) ، فيلسوف يوناني تتلمذ علي افلاطون ، ألف (الارغانون) في المنطق وينقسم إلي ثلاثة أقسام : كتاب المقولات ومبحثة التصورات ، وكتاب العبارات ومبحثة الأقوال من التصورات ، وكتاب التحليلات ومبحثة الاستدلالات ، وله العلم الطبيعي كتاب السماء وكتاب علم النفس . انظر محمود محمد محفوظ وآخرون : الموسوعة الميسرة ، ١/١٦٥ - دار الجيل - القاهرة - ط ٢ - ٢٠٠١م .

(٢) الحشر : الآية ٢٤ .

قال الجاحظ بن كثير رحمة الله : (أي الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون علي الصورة التي يريد والصورة التي يختارها ^(١) . كما في قوله تعالى : (في أي صورة ما شاء ركبك) ^(٢) .

بقول الجاحظ بن كثير رحمة الله في تفسيره هذه الآية يقدرته ولفظة وحمة يخلقة علي شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن النظر والهيئة ^(٣) .

ويقول الخالق سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) ^(٤) .

وقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم جملة أحاديث شريفة أشتملت علي معاني الصورة والتصوير .. قال عليه الصلاة والسلام : (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون) ^(٥) . وقوله صلي الله عليه وسلم : (... فإن الله خلق آدم علي صورة) ^(٦) .

وعليه ندرك أن الصورة في اللغة تدل علي معان منها الشكل والهيئة والصفة والمحسوسة التي يكون عليها الشيء وتميزة عن غيره .
فالصورة الواردة في القرآن تدل علي تشكيلة بعض خلقه في هيئة التي أرادها البارئ سبحانه . وفي الحديث الشريف فيها دلالات الصورة تكون شيئاً محسوساً مشابهاً لغيره .

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ص : ٤٨٣ - دار الجيل - بيروت - ج ٤ - ط ١ - ١٩٨٨ م .

(٢) الأنفال : الآية ٨ .

(٣) ابن كثير - ص : ٣٤٤ - مرجع سابق .

(٤) الأعراف : الآية ١١ .

(٥) هو حديث عثمان بن أبي شيبة ، وأخرجه مسلم في صحيحة ، ج ٢ ، ٢١٠٩/٩٨ ، كتاب اللباس والزينة ، تحريم تصوير الحيوان ، وتحريم اتخاذ ما فيه من صورة غير ممتنة بالقرش ونحوه .

(٦) حديث أخرجه مسلم ف صحيحة ، ج ٤ ، كتاب البر ولاصلة ، ٤٥ ، باب عن ضري الوجه ٣٢ ، ح :

(٢٦١٢) ، ١١٤

والثانية أن الصورة تطلق ويراد بها الشكل عامة .

ومما سبق ندرك أن الصورة بمعناها تدل علي السمات الحسية المميزة لشيء ما (١).

كما جاء مفهوم الشعراء للصورة الفنية متأثراً بأراء اللغويين والمفسرين والفلاسفة ، الذين يحددون مفهوم الكلمة في الشكل دون المضمون غالباً .
فمن الناحية اللغوية نجد أن مدلول كلمة (الصورة) بالضم تعني الشكل والجمع صور وتستعمل بمعنى النوع والصفة (٢) .

قال ابن فارص : وفي ما ينقاس منه قولهم صور ، أذا مال وصيرت الشيء أصور وأصرتة إذا أملتة إليك ويجئ ويجئ قياسه كصور لما ضرب كأنة مال وسقط فهذا هو المنقاس ، وسوي ذلك فكل كلمة منردة بنفسها من ذلك صورة كل مخلوق ، والجمع صور وهي هيئة خلقتة ، والله تعالى البارئ المصور ، ويقال رجل صير إذا كان جميل الصورة(٣).

وقال ابن سيدة : (الصورة في لاشكل) ونقل عن الجوهري عن الكلبي في قوله تعالى : (يوم ينفخ في الصور) ويقال : هو جمع صورة مثل يسر ويسره أي ينفخ في لاصورة موتي الارواح ، قال : (وقرأ الحسن ينفخ في الصور بفتح الواو وقد يراد بالصورة الوجهة من الإنسان أو الهيئة من لاشكل وأمر وصفه(٤).

وقد وردت كلمة الصورة في القرآن بصيغ مختلفة فذكرت صيغة الماضي فقط في قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

(١) إبراهيم عبد الرحمن غنيم - الصورة الفنية في الشعر العربي - مثال ونقد - ص : ٥ ، ٧ - الشركة العربية للنشر والتوزيع - مصر .

(٢) الفيروز أبادي ، مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي - القاموس المحيط - ص : ٧٣ - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ج ٧ - (د . ت)

(٣) أحمد بن فارس الرازي - معجم مقاييس اللغة - ص : ٢٥ - دار الكتب العلمية - بيروت - ج ٢ - ط ١ - ١٩٩٩ م .

(٤) ابن منظور - لسان العرب - ص : ١٤٣ - الدار المصرية للتأليف والترجمة - ج ٦ (د . ت)

فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ^(١). وبصفة الماضي والجمع في وقوله تعالى : (وَصَوِّرْكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ)^(٢). وبصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى : (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ)^(٣). وبصيغة المضارع في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرْكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ)^(٤). وبصيغة المفرد في قوله تعالى : (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ)^(٥)..

وقد هذب كثير من المفسرين إلى أن الصورة هي الشكل ، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ) أي أحسن أشكالكم^(٦). وقال القرطبي : خلقكم في حسن صورة عند هؤلاء المفسرين تعني الشكل الخارجي للإنسان ولا تدل علي الجانب المعنوي فيه ، والصورة الشعرية هي جوهر الشعر وأدواته القادرة علي اللحق والأبتكار ، والتحوير والتعديل لأجزاء الواقع ، وهي القوة السحرية التي تؤلف بين الصفات المتنافرة حتي تتسجم فيما بينها ، والصورة الشعرية هي المعادل الفني لفكرة ، فالشاعر يحول المعدلات الفكرية إلي تجارب شعورية كطرح الموضوعات الذهنية بشكل لا تسقط هذه الموضوعات فيه في أذن السامع من دون صورة وإيجاء ، أذن الشاعر يوفر المناخ الشعري للفكرة الذهنية التي يعالجها^(٧).

إن الصورة الفنية تعبر عن تجربة الشاعر الفنية التي يرمز بها للواقع كما يتخيلة وقد لا تسعفه بها اللغة العادية ، فيري نفسه مدفوعاً إلي تشكيل علاقات لغوية خاصة يؤلفها بخياله المبدع ويعبر عن رؤية خاصة به .

(١) الأعراف : الآية : ١١ .

(٢) غافر : الآية : ٦٤ .

(٣) الحشر : الآية : ٢٤ .

(٤) آل عمران : الآية : ٦ .

(٥) الأنفال : الآية : ٨ .

(٦) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ص : ٢٢٣ - دار الطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ج ٧ -

١٩٨١م

(٧) القرطبي ، أبو عبد الله بن محمد الانصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - ص : ٤٤٧ ، دار الكتاب

العربي - بيروت - ج ٩ (د . ت).

وتتمو الصورة نتيجة خلق العلاقات الجديدة بين مردات اللغة التي عجزت في وصفها عن التعبير عن تجربة الشاعر الخاصة .
والصورة في دلالتها اللغوية وسيلة لنقل مشاعر الفنان وإحساسه وأصالة حيث يوظف اللغة ويجد من بين كلماتها ما ينشده ويأمله ويحياه^(١).
فهي تعكس ما تعمل في النفس والفكر من خلال عالم اللغة والإيحاء ،
ويقول : د نعيم اليافي (إن لغة الفن أنفعالية ، والأنفعال لا يتوسل بالكلمة دائماً وإنما يتوسل بوحدة تركيبية معقدة حيوية لا تقبل الاختصار ويطلق عليها اسم الصورة)^(٢).

ثانياً - الصورة الفنية عند القدامى والمحدثين :

لقد أهتم القدماء والمحدثون بأمر التصوير في شعرنا العربي ذلك لمعرفة كنهه وما يؤديه من وظيفة جمالية في العمل الشعري فالجاحظ يقول : (فإنما لمعرفة كنهه وما يؤديه من وظيفة جمالية في العمل الشعري فالجاحظ يقول :)
فإنما صناعة وضرب من النسخ ، وجنس من التصوير)^(٣).
فالجاحظ قد ذهب إلى أن الشعر صناعة وضرب من النسيج وكنس من التصوير . فالصناعة الشعرية عنده تمكن قيمتها في الكيفية التي تصاغ بها لأن الصياغة اللفظية في نظره أصل العمل الفني وجوهره .
أما قدامة بن جعفر فقد راي : (أن المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية منه كالصورة)^(٤).

(١) علي إبراهيم أبوزيد : الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاني - ص : ٢٤١ - دار المعارف مصر - ط ١ - ١٩٨١م .

(٢) د . نعيم البافي - الصورة الفنية في الشعر العربي - ص : ٨١ وما بعدها - منشورات اتحاد دار الكتاب العربي - بيروت - (د.ت).

(٣) الجاحظ ! أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الحيوان - ص : ٣٢ - شرح وتحقيق : محمد هارون ، - دار الطتابة العربي - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٩٦٩م .

(٤) قدامة بن جعفر : نقد العشر - ص : ٥٣ - تحقيق : محمد خفاجة - مكتبة الكليات الازهرية - القاهرة - ١٩٨٠م .

كما يوجد من كل صناعة من أنه لا بد فيها من شئ موضوع يقبل تأثير الصور مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة ، فالصورة الشعرية عنده مثل سائر الصناعات وإن اختلفت مادتها ، لكن تمكن قيمة العمل الفني في الصياغة. ثم تطور المفهوم عند عبد القاهر الجرجاني حينما اخترع فكرة النظم ، والصياغة عنده متحدة مع المعني ولا تتفصل عن سبل الشئ الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالضفة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار . فكلما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وتلك الصنعة .

كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنتظر في مجرد معناها ، وكما إنا لو فضلنا خاتماً علي خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أو فضة هذا أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلاً له من حيث هو خاتم ، كذلك لا ينبغي إذا فضلنا بيتاً علي بيت من أجل معناه تفضيلاً له من حيث شعر وكلام^(١). أي أن الكلمة المفردة لا قيمة لها في مثل تدخل في التركيب المؤدي إلي الغرض - وعملية الصياغة هي الصورة عنده .

ونلخص - إلي التيار العام يف النقد العربي القديم يحصر المدلول اللفظي للصورة في الجانب المادي المحسوس في الكلام ، واللفظ الذي يقابل المعني الدائم في ذلك التشبيه والاستعاره والمجاز والكناية وذلك لقوة التيار البلاغي آنذاك .

ثالثاً - الصورة الفنية عند الحديث :

أما عن الصورة في النقد الأدبي الحديث عن العرب فقد أدركوا مكانة الصورة الفنية بالعمل الأدبي الحديث وأهتم بها النقاد والبلاغيون اهتماماً بالغاً، فيقول أحمد الشايب : (والصورة هي مجموعة المسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته إلي قرائه أو سامعية ليوقظ بها أنفسهم ويهيج عواطفهم)^(١).

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص: ١٧٠ - صححة السيد رشيد حنا - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - ط ١ - ١٩٩٠م.

(١) أحمد الشايب - أصول النقد الأدبي - ص: ٢٤٢ - مكتبة النهضة العربية - ط ٧ - ١٩٦٤م.

ولعل أبرز ما في الصورة في الشعر الحديث الحيوية التي تكمن بين أطرافها فأصبح الشاعر يعبر بالصورة الكاملة عن المعني كما يعبر باللفظة . ويعرفها محمد غنيم بأنها : (تجربة نفسية يعيشها المرء وتكشف عن بواطنها الخفي لكما أنحصرت في نطاق الحواس ، مثل تشبيه الخد بالورد دلالة له سوي الاستعاضة الحسة التي يستعان فيها بأداة التشبيهية . بينما أقوى الور هي الصورة التخيلية المتناقضة المتواردة علي معان يصعب التعبير عنها ، وتربط بين الأشياء البعيدة ربطاً يحدث هزة في العقل والحس معاً)^(٢).

وقد ذكر محمود الربيع مجموعة تعريفات نقاد العرب للصورة في مجال الشعر منه يؤكد جونس حيث هي : (جمع المتعة الحقيقية حيث يدعي الخيال لمساعدة المنطق وجوهرها الاشكال ، ويذكر جون استيةارت مل : (إنها الكلمات التي تحل العاطفة نفسها فيها بطريقة تلقائية ، ويراهها أو جارا لاتو يو : (خلقا موقعا للجمال . ويركز راسين علي دور العاطفة فيها : حيث تقوم بأرساء ركائز نبيلة للعواطف النبيلة عن طريق الخيال)^(٣).

والصورة الفنية إدراك اسطوري تتعد فيه الصلة بين الإنسان والطبيعة، ويريد الشاعر أن يجعل من الطبيعة ذاتا وأن يجعل من ذات طبيعة خارجية ، فالصورة منهج فوق المنطق لبيان خصائص الاشياء^(٤).

وثمة أتجاة آخر يجمع بين المنهج الحسي والمنهج العقلي في إدراك الصورة، فالفنان لا يدرك الحقيقة إدراكاً حسياً ولا يدركها إدراكاً عقلياً، إنما هو يدركها بصور محسوسة فالعنصر الحسي يحرك طاقة الخيال لدي الفنان ويعمل الخيال ليدرك الحقيقة ، لا الموضوع . ولا كفيرة وإنما يدركها في صورة ، فالصورة إدراك خاص للحقيقة يدركها الفنان المدرك بإداة إدراكه في الخيال^(٥).

وهكذا تتعدد الآراء وتتباين حول مفهوم الصورة الفنية ومهما يكن من اختلاف فهي أداة الشاعر الفنية يعبر بها عن تجربته الذاتية ، ويرسم مشاهد من حياته وواقعة . ويبتكر

(٢) د. محمد غنيم هلال - النقد الادبي الحديث - ص: ٢٤٧، ٢٤٢ - دار الثقافة - بيروت - لبنان - ١٩٧٣ م.

(٣) د. علي إبراهيم أبوزيد - الصورة الفنية في شعر دعبيل الخزاعي - ص: ٢٤٦.

(٤) مصطفى ناصف - الصورة الادبية - ص: ٣ ، ٨ - مكتبة مصر - القاهرة - د. ط - ١٩٥٨ م .

^{١٥} لطفي عبد البديع - التركيب اللغوي للأدب - ص : ١٩٢ - ط ١ - دار النهضة المصرية - ١٩٧٠ م

بها دلالات جديدة غير مباشرة يبني بها عالماً متميزاً يجمع فيها عناصر متباعدة في إطار من الأنسجام والوحدة^(٢).

ويقول جابر عصفور إن الصورة هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر قد تتغير مفاهيم الشعر نظرياته ، فيتغير بالتالي مفاهيم الصورة الفنية ونظراتها ولكن الاهتمام بها يظل قائماً بها يظل قائماً ما دام شعراء يبدعون ، ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه وإدراكه والحكم عليه^(٣).

أما بيان الصورة الفنية وجلأؤها فقد سلك فيه الشعراء طرقاً شتى فأحياناً يعمدون إلى استخلاص الصورة مما يحيط به فتلههم الطبيعة اللون التشبيهية وكثيراً من الصور المتباينة وأنماطاً من الاستعارات ، ونماذج من الكنايات والبديع الذي يحقق به الجمال والمتعة في اعتدال الصورة مثل قول النابغة الذبياني :

تجلو يقادمتي حمامة أيكة برداً أسف لثأته بالأنثمد

كالأقحوان غداة غبّ سماته جفت أعالية وأسلفة ندي^(٤).

فمحبوبة النابغة تظهر وتكشف بشفتيها اللتين تشبهان مقدمة ريش الحمام في سمرتها عن أسنان شديدة البياض تشبه البرد وقد ذر عليها الأنثمد - وهو الكحل وهي علي هذه الشاكلة كبتلات الأقحوان بعد هطول المطر وقد جلا عنها الغبار فصارت ناصعة البياض في أعلاها ومبتلة ندية في أسفلها فشكلت صور تجمع الاضداد ... الحمامة وبينها أنسان بيضاء تشبه بتلات الأقحوان بعد أن أزال

المطر ما عليها من غبار ، وكني الشاعر عن سمرة الشفاه بخدمة ريش الحمام وإشراقة وبياض أسنانها كأنها أقحوان أبيض أزاح المطر الغبار عنها فنصت . وزهرة الشقيق من أرق الأزهار ، غير أن ابن الزقاق قد جعلها مذنبه في نظر الغمام فأقام عليها حد السرقة .

ورياض من الشقائق أضحت يتهاوي يفها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها زهرات تروق لون الراح

(٢) الصورة الفنية في شعر دعبيل الخزاعي - ص : ٢٤٧ - مرجع سابق .

(٣) د . جابر عصفور - الصورة الفنية في التراث البلاغي - ص : ٧ - دار الثقافة - القاهرة .

(٤) البايعة الذبياني - الديوان - ص : ١٠٨ - شرح وتقديم : عباس عبد الستار - دار الكتب العلمية بيروت - د . ط - ١٩٨٤ م .

قلت : ما ذنبها ؟ فقال مجيباً سرقت حمر الخدود الملاح (١)

يزور بن الزقاق روض به زهر الشقائق ينتثي ويتمائل مع الرياح في حمرة غانية كما الخمر ، لكنها كانت مذنبه في نظر الغمام الذي رأي أن يقيم عليها حد السرقة لاتسلاها حمرة خدود الحسان ، وتظهر الاستعارة المكنية في تجسيد الشاعر للغمام مشبها له بأنسان حاكم وزهرات الشقيق سارقة وجب عليها الحد حسب التعبير الفقهي ، فصورة الغمام وهو يضرب زهرة الشقيق بجسد صورة عقوبة لطيفة يقيمها الغمام.

ويقول صفي الدين الحلي ف بركة نيلوفر :

وبركة نيلوفر زهرها ثني جيدة في الدجي وأحتجب

فمذ لاح وجه حبيبي له وشاهد أنواره كاللهب

توهمة الشمس قد أشرقت فقام علي سوقة وانتصب (٢)

فطبيعة زهرة النيلوفر عند شروق الشمس ، وتحتجت عند غروبها ، والشاعر هنا يصف بركة النيلوفر مشبها زهرها بفتاة ثنت جيدها أستعدادا للنوم فبانت الاستعارة المكنية فالجيد للفتاة وليس للزهر ... لكن في تلك اللحظة يظهر له وجه الحبيب بأنوار التي هي كاللهب - فيحسبه ضوء الشمس وأن نورها قد أشرقت سوقة ويقف شوقاً واحتراماً للحبوب .. ضافنا عليها أحاسيس الإنسان وانفعالاته عند رؤية من يهوي .

فالشاعر يتوسل في تشكيل الصورة الفنية بخلق علاقات لغوية جديدة بين الكلمات تكسب الكلمات دلالة خاصة ، ويضيف بمقدرته خبرة جمالية ويبدل جهوداً لإظهار صورة من العلاقات التي يمسها من المشابهات الحسية أو المعنوية أو المقتضي الذهني اذي يربط بين الطرفين .

ولا يخلو خلق العلاقات عند الشعراء أحياناً من مبالغة كما نلمحه عند

أمرئ القيس :

كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطر

(١) ابن الزقاق - الديوان - ص : ١٢٥ - مرجع سابق .

(٢) صفي الدين - الديوان - ص : ٥٥٥ - مراجعة كرم بساتي - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت .

بعل بها برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر^(١)
فهناك مبالغة واضحة فهو يصفها سحراً عند تغير الأفواء بعد النوم فكيف
تظنها في أول الليل ... !!!.

(١) أمرئ القيس : الديوان - ص: ١١٠ - دار صادر - بيروت.

المبحث الثاني

دراسة فنية للأزهار من حيث

اللغة والاسلوب - الأخلية والمعاني - الموسيقى

أولاً : اللغة :

جاء في معجم اللغة ... اللغة : (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)^(١).

(واللغة هي : الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير ، منذ عرف الإنسان العالم أو حاول أن يعرفه يوم أن عرف وهو لم يعرف السحر إلا أدراك قوة الكلمة ولما عرف الشعر أدرك السحر)^(٢).

(واللغة قد تكون ذات وظيفة أساسية وهي التعبير عن العواطف والأنفعال وإثارة المشاعر والتأثير في السلوك الإنساني)^(٣).

ولغة الشعر تختلف عن لغة النثر بما تحمله من أنفعالات ومشاعر ودلالات للألفاظ ، ولهذا قالوا أن لهذه اللغة المثيرة ألفاظها الخاصة بها ولا ينبغي للشاعر أن يتجاوزها إلى غيرها من الألفاظ)^(٤).

يقول صاحب كتاب : (سر الفصاحة) : ومن وضع الألفاظ موقعها ألا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور في الوسائل والخطب ألفاظ المتكلمين والمهندسين ومعانيهم والالفاظ التي يختص بها المهن والعلوم)^(٥).

فإذا كان الشاعر أصيلاً وأن لغت تزخر بالاصول والخصائص الفنية التي تجعل في الشعر فناً متكامل البيان لأن الالفاظ هي تشجع الظلال النفسية بما تحمل من موسيقي وصورة وتركيب عاطفي وفكري يدعم هذه العناصر .

(١) العلامة الشيخ أحمد رضا - معجم متن اللغة - ص : ١٩٢ - موسوعة لغوية حديثة - دار مكتبة بيروت - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

(٢) عز الدين إسماعيل - الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية - ص : ٥٣ - دار الفكر العربي - بيروت - ط ٣.

(٣) د. منصور عبد الرحمن : اتجاهات النقد في القرن الخامس الهجري - ص : ٩٨ - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٩٧ م.

(٤) د. عثمان موافي - من قضايا الشعر والنثر في النقد - ص : ١١٢ - (د . ت).

(٥) ابن سنان الخفاجي - سر الفصاحة - ص : مطبعة علي صبيح - بالقاهرة - ١٩٦٩ م.

وأخذ الشعراء يحرصون كل الحرص علي انتقاء اللفاظ النفسية الرقيقة بدقة وعناية ، وها هو ذا ابن حمديس يعلن ذلك صراحة ويؤكد عليه ويوصي بأنتقاء النفيس من الالفاظ ليضع معاينة في اصدافها وروحة في جسدها فقال :

حرر لمعانك لفظاً تزان به وقل من الشعر سحراً أو لا تقل

فالكل لا يفتن الابصار منظره حتي يصير حشو الاعين النجل ^(١)

وقد بلغ من حرص شعرائنا بالالفاظ أن ضحوا في سبيلها في بعض أشعارهم بالمعاني : لنستمع لابييات بن خفاجة في وصف الفرس علي سبيل المثال :

وأشقر تضرم منه الوعي شعلة من شعل الباس

من جلنار ناضرة خذة وأذنة من ورق الآس

تطلع للغرة في وجهة حباية تضحك في الكاس ^(٢)

فهذه الابيات مليئة بالالفاظ المنمقة والصور البراقة التي طغت علي المعاني . وأدي اتصال العرب في جاهليتهم بالأمر المجاورة لهم كالفرس والروم والنبط واحتكاك لغتهم العربية بلغات هذه الامم ، بالإضافة إلي دابهم بأن تجري علي السنتهم بعض الالفاظ التي يحتاجون إليها من لغات الامم وأراجيزهم ^(٣). فهذا هو الاعشي ميمون بن قيس يكثر في شعره من الجلسات والبنفسج وذلك في قوله : " لنا جلسان عندها وبنفسج "

الجلسان - ضرب من الزهر أو هو الورد - قال يف اللسان : الجلسان
نثار الورود في المجلس ، والورد الأبيض ، أو ضرب من الريحان وبه نشر ^(٤).

(١) ابن حمديس - الديوان - ص : ١ - ٤ . مرجع سابق .

(٢) ابن خفاجة - الديوان - ص : ١٤٩ - دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٩٩٦م.

(٣) رمضان عبد الوهاب - فضول في فقه العربية - ص : ٣٥٨ - ٣٥٩ - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط٢.

(٤) صلاح الدين المنجد - المفضل يف الالفاظ الفارسية في الشعر الجاهلي والقران الكريم والحديث النبوي والشعر الاموي - ص : ٢٢ - ٢٣ - (د . ط) - (د . ت) .

نلاحظ تأثير الاعشي بالالفاظ الفارسية نتيجة لزيارة بلاد كسري . ومما لا شك فيه أن اللغة العربية ككل اللغات الحية تتأثر وتتوثر في اللغات الحضارية وتتصل بالثقافات الاجنبية .

ولكنها الالفاظ من ذلك لا تخضع خضوعاً تاماً ولا تتمحي معالمها ولا تزول^(١).

وهذه الألفاظ والتراكيب نقلت إلى اللغة العربية وتسريب إلى لغة الشعر وأسلوبه ، فقد استخدموا في أوصاف البساتين والرياض ألفاظاً فارسية معربة في أسماء الأزهار مثل : النرجس ، والنسرين ، والنيلوفر والبنفسج^(٢). يقول بن الرومي في النيروز - وهو يوم عيد من اعياد الفرس ويعني اليوم الجديد.

استقبل المهرجان بالفرح فقد مضت عنك دولة الترح
وحي ندمانك بالنر جس بين الإبريق والقدح^(٣)
وقد استعملوا كثيرا من الألفاظ المعربة مثل لفظ آذريون معرب آذركون أي لون النار لورد أحمر الورق مع سواد فيهما ، وكذلك يشبة الأحمر منه بكاس فيها مسك كقول ابن المعتز :

وطاف بها ساق أديب كخنجر عيار صناعة الفتك
وحمل أذريونة وأذنة ككاس عقيق في قرارتها مسك^(٤)
نلاحظ تردد الألفاظ الفارسية معربة أوصاف البساتين والرياض وأسماء الأزهار والرياحين - كنتاج طبيعي إما لمتاخمة العرب لسكان هذه المناطق أو الزيارات التي كانت تحدث من الشعراء العرب إلى تلك الاماكن .

١ د. عثمان موافي - التيارات الاجنبية وأثرها في الشعر - ص : ٣٥٣ - مؤسسة

٢ جورجى زيدان - تاريخ اللغة آداب العربية - ص: ٤١ - دار الهلال - القاهرة - ج ٢ - ١٩٥٧.

٣ ابن الرومي - الديوان - ص: ٧٠ - شرح وتحقيق : عبد الامير مهني - منشورات مكتبة دار الهلال - القاهرة - ط ١ - ١٩٩١ م.

٤ ابن المعتز - الديوان - ص : ١٩٣ - ج ٢ ، مرجع سابق.

ثانياً - الأسلوب:

يقول أحمد الشايب فيه : (يشمل الفن الأدبي الذي يتخذة الاديب لإقناع أو التأثير)^(١).

ويتكون الأسلوب كما يقول أحمد البدوي : من لبنات هي المفردات التي وقف عندها العرب طويلاً يتبينون الاساليب التي تهب الكلمة الجمال ، لتؤدي دورها في الأسلوب أداة كاملاً ، لتقوم بنصيبها في التأثير النفسي تأثيراً بالغاً^(٢). والأسلوب تختلف باختلاف الأغراض ، بل أن الفن الواحد من الكلام ليس له أساليب تختص به ، وتوجد فيه أنحاء مختلفة سؤال الطلول في الشعر مثلاً بخطاب الطلول ، كقولة : (يا دار مية بالعلياء فالسند ، ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقولة : قفاً نبك من ذكري حبيب ومنزل)^(٣) . والأساليب التي عبرت عن وصف الازهار تباينت إلي ما بين العذرية والركة واللين والجدالة وأثرت فيها الحياة المتحضرة والبيئة الجديدة ، وما ساد فيها من مجالس الشرب والخمر وانتشار الحقائق والبساتين والرياض فيها بالوضوح والسهولة كما نلمح ذلك في قول البحتري :

في سماء من خضرة الروض فيها	أنجم من شقائق النعمان
وأصفرار وبيضاض	كاجتماع اللجين والعقاب
وتريك الأحباب يوم تلاق	باعتناق الحودان والأقحوان
فكان الاشجار تعلو رباها	بنشر الياقوت والمرجان
وكان الصبا تتردد فيها	بنسيم الكافور والزعفران ^(٤)

فالشاعر قد تجنب التغميد ومستكره الألفاظ ، ووحشي الكلام ، وحشد في هذه الابيات مجموعة رشيقة خفيفة من الألفاظ الحضرية ، ضاغها في أسلوي سهل وأضح عن العقيد والتكلف.

(١) أحمد الشايب - الأسلوب - ص: ٣٣ دراسة بلاغية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط٣ - ١٩٤٥ م.

(٢) أحمد أحمد البدوي أسس النقد العربي عند العرب - ص : ٢٥٣ - مكتبة نهضة مصر - القاهرة - ط٣ - ١٩٩٤ م.

(٣) المرجع نفسه - ص: ٤٥٣ .

(٤) البحتري - الديوان - ص : ٢١٩٨ - ج٤ .

وهاهي أبيات الصاحب بن عباد يصف فيها كانون ووردة :

هات المدامة يا غلام مصيرة ونلقي عليها قبلة عضه
أما تري كانون ينثر وردة وكأنما الدنيا سبيكة فضة ^(١)

فإذا كانت أبيات الصاحب بن عباد غلبت فيه عليها السهولة والوضوح أبن دراج
القسطلي يصف الورد من بين ازهور ، ولا تخلو أبيات من تكلف:
ضحك الزمان لنا فهاك وهاته أو ما رأيت الورد في شجراته
قد جاء بالنارنخ من أعصانة وتخل المعشوق من وجناته
وكساه مولانا غلائل سيفه يوم يسريلة دماء عدائه

من بعد ما نفخ الحياة من روحة فيه وعرف المسك من نفحاته
أن كان أبدع واصف في وصفه فلقد تقاصر عن بديع صفاته
كمديح سيف الدولة الاعلي الذي أعيا فاعيا في مدي غاياته
ملك ينير الجود يف لحظاته وأيمن الايمان يف عزماته ^(٢)

ويأتي التكلف في هذه الابيات نتيجة لازدواجية الرغض في مقطوعته وجعل
أوراق الورد كغلائل السيف ، وحمرة الورد بدماء ممدوحة ، وما اضطره إلي ذلك
الذكر غلائل السيف فليس من المناسب في وصف الزهور البهيجة ذكر للدماء
والسيف ولو أنه جمع بين رقة الممدوح وطيب سجايه ورقة الورد وطيب رائحته
لكان ذلك مقبولا.

وأبيات لابن هزيل تمتلي بالركة وهو مياة جارية بحديقة :

حديقة نعس تملأ النفس نهجة وتنتهي عيون الناظرين بها حسري
كان جني الجلنار وورودها عشيقان لما استجمعا أظهر خفراً
كان جني سوسناها في سني الضحي كؤوس من البلور قد حشيت تبراً
كان جني الخيري يف غسق الدجي نسيم حبيب زار عاشقة سراً ^(٣)

(١) الصاحب بن عباد - الديوان - ص : ٤٠ - تحقيق : الشيخ محمد الحسن آل ياسين - مكتبة النهضة
- بغداد - ط ١ - ١٨٨٤ هـ ١٩٦٥ م .

(٢) ابن دراج القسطلي - ص : ٤١ ، ٤٢ .

(٣) الوليد إسماعيل الحميري - البديع في وصف الربيع - ص : ٤٠ - ٤١ - تحقيق : عفيف عبد الرحيم
عسقلاني - (ط.د) ١٤٠٧ م - ١٩٨٧ م .

نلاحظ بصفة تائق المعاني ورقة الاسلوب وسلاسة والبعد عن استخدام ما
صعب من الألفاظ كما يتضح أن لكل شاعر طريقة خاصة تروقة يصوغ بها ما
يجول في نفسه من خواطر وعواطف ونفالات .

ثالثاً - المعاني والاخللة :

يرتبط اللفظ بالمعني ارتباط الروح بالجسد كما يقول بن رشيق : (واللفظ جسم روحه المعني وأرتباطه به كارتباط الروح بالجسم - يضعف ، ويقوي بقوة فإذا سلم المعني واختل اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه ... ، وكذلك إن ضعف المعني واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ)^(١).

إن إن جودة الشعر تحقق من جهة معناه ولهذا نجد أن كثيراً من النقاد قد جعلوا من جودة معاني شرطاً من شروط الشعر الجيد ، ويتضح ذلك من حيث ابن طباطبا في جودة المعني الشعر أشار إليه د ؟ أحمد أحمد البدوي في كتابه (من النقد الادبي) يقول ابن طباطبا : (وللشعر الجيد صفات يجب أن تتحقق فيه ، وأخري يجب أن يتبرأ منها ، فمما ينبغي أن يتحقق يف الشعر : جودة معناه فالكلام الذي لا معني له كالجسد الذي لا روح فيه)^(٢).

وقد ظهر في شعر الطبيعة دفة الافكار وجدة المعاني واستيفاء المعني واستقصاؤه وظهرت فيه الاقيسة المنطقية والادلة العقلية ، وسعة الخيال وخصوبة والميل إلي تشخيص ما لا يعقل .

افتتن الشعراء في تعميق المعاني ، وكان كل ذلك ضرورة حضارية اقتضتها الحياة وما حققت الحضارة من تطور يف الاذواق ورهافة في احس وما أحدثت من أنماط سلوكية جديدة تتسم بالترف وتعني بالزينة فتركت آثارها في نفوس الشعراء فأرتقت عندهم مدارك التخيل والتصور والتمثيل^(٣).

ومن أمثلة الاقيسة والادلة المنطقية قول البحرني:

ها هو الشيب لاح فأفريقي وأتركه إن كان غير مفيق

عزلتنا في عشقها أم " عمر " هل سمعتم بالعازل المعشوق

ورأت لمة ألم بها الشيب ب فربعت في ظلمة من شروق

ولعمري لولا الاقاحي لأبصر ت أنيق الرياض غير أنيق

(١) ابن رشيق - العمدة - ص: ١٢٤ - دار الجيل - بيروت - ج ١ - ط ٥ - ١٩٨١ م.

(٢) أحمد أحمد البدوي - من النقد والادب - ص: ١٥٠ - مكتبة نهضة مصر بالقاهرة - مصر - ١٩٦٥ م .

(٣) د. رشيد علي حسن - شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني - ص: ٢١٣ بتصرف - مرجع سابق .

أي ليل يبهي بغير نجوم أم سحب يندي بغير بروق ^(١)
ومن الشعراء من يظهر في شعرة التشخيص والتصميم كما يف قول الحموي
يصف الطبيعة :

وروض أفادته السحاب صنائعاً أضحى به كل البلاد سعيداً
نشأت سحابة عليه فأنشأت نوراً تراه ناشئاً ووليداً
وتري العذاري من بهار باهر للشمس تحسب نظمهن فريداً ^(٢)
فالنور أطفال ، منهم الوليد ومنهم الناشئ ، ومنهم اليافع ، وزهور البهار عذاري .

ونلمح التجسيم والتشخيص أيضاً في شعر عبيد الله عبد الله طاهر يصف دير
العذاري ويصف رياضة :

ما تري طيب يا سعيد زمن ضاحك وروض نضيد
ورياض كأنهن برود كل يوم لهن صبح جديد
وكان الشقيق فيها عشيق وكان البهار صب عميد
وكان الغصون ميلاً قدود وكان النوار فيها عقود
وكان الثمار والورق الاخضر ثياب من تحتهن نهود ^(٣)
فهو يعبر عما يراه بالتشخيص والتجسيم ، ويشخص الزمن وهو معنوي فيجعل ضاحكاً ،
ويري الشقيق كأنه ، أما البهار فهو عميد ، ويجسم الرياض فتتراءى له كأنها برود ، وتلوح
الاصغان أمامه كالقدود ، ويبدو النوار كأنه عقود ، وأما الثمار فهو نهود أحتجبت خلف
ثياب من الورق الاخضر وهو يدل علي مدي خصب خيال الشعراء وعلي شيوع ظاهرة
التشخيص والتجسيم في شعرهم .

والروح المحايدة التي أظهرها الصنوبري يف معركة الكبرى التي أقامها
بين أنواع الازهار المختلفة والتي نصب عليها حاكماً، فيها دلالة واضحة

^(١) البحتري - الديوان - ص : ١٤٨٥ - ج ٣ .

^(٢) نقلاً عن : رشدي حسن - الطبيعة في العصر العباسي الثاني - ص: ٢٢٣ - ٢٢٤ - مرجع سابق .

^(٣) المرجع نفسه - ص: ٢١٣ - بتصرف .

علي خصوبة الخيال علي نحو بديع وعناية بأبراز المعاني فهو ينقد النرجس الضعيف الغض من حملات الازهار الاخري عليا بين الطبيعية الصامته والمتحركة غي مجلس فائن ، لقد مثل رواية جعل النرجس بطلها ونفسه حاميها له ، ومثل الورد في موقف معاكس تلتف الازهار جميعاً حولة وتؤيده في المعركة فالورد ملك الزهور ذو القيادة الجياشة .

يتطلف الصنوبري إليه لكي ينصرف عن أذي النرجس ... والطريف في ذلك أشكال الزهور في هذه المعركة بها تصوير علي نحو بديع عني بأبراز المعاني مثل ضعف النرجس ووصفه البهار والشقيق.

نلاحظ استخدام الشعراء للأدلة العقلية وقدرتهم علي التعليل وضرب البراهين والاعتماد علي المنطق فأدي ذلك إلي استخراج صورة شعرية تتبض بالحركة والحياة .

رابعاً : الموسيقى :

تشكل الموسيقى الشعرية عنصراً هماً من عناصر الشعر بما تتوسل به وزن وتقنية ، وتلحين وغيرها من مصادر الإيقاع الشعري ، وألوان الجرس اللفظي . (والموسيقى تعيد لنا النظام الطبيعي لمشاعرنا وإحساسنا بما لها من قوة خفية ساحرة^(١)).

عني نقاد الشعر في الآداب العالمية - قديماً وحديثاً - بموسيقى الشعر من حيث أنها عنصر أصيل من البناء الشعري ، بل إن الشئ الذي يفرق بين الشعر والنثر في المكان الأول هو تجربة الالذن ، ذلك إن الشعر كلام يمتاز بزخرفة موسيقية^(٢).

وهذا يعني أن ثمة تجاوباً كبيراً بين النفس وبين أيقاع الشعر أو موسيقاه لأن : (موسيقى النفس تتوقف علي موسيقى النفس فكلما كانت الكلمات متألقة المقاطع متناسقة الاصوات أشدت تأثيرها في العقل ، وحسن وقعها لدي النفس وذلك بموسيقاها العذبة ونغمها الجميل وما ذلك التأثير إلا نغم النفس الناشئ عن ارتياحها وسلوكها ومسلكها الطبيعي الخالي من الدهشة والأضطراب)^(٣).

ومثل الوزن في هذا مثل كل شئ معظم التركيب منسجم الأجزاء يستطيع الغنسان بسهولة أن يدرك توالي أجزائه وتركيبها ، خيراً مما يمكن أن يدرك الممضطرب الخالي من النظام والأنسجام^(٤).

وعني الشعر العربي بالأوزان عناية كبيرة إذ أن الوزن أعظم أركان الشعر وأولاهها خصوصية^(٥).

والشعر فن من الفنون الجميلة مثل التصوير والموسيقى والنحت، وهو في أغلب أحواله يخاطب العاطفة ويستثير المشاعر والوجدان، وهو جميل في تخير

(١) الصورة الفنية دجيل الخزاعي - ص: ٣١ - مرجع سابق .

(٢) البربيت نزي - الشعر كيف نفهمه ونتذوقه - ص: ٤٣ - ترجمة : د . إبراهيم الشوش - مكتبة منيمية - بيروت - لبنان - ١٩٦١م

(٣) د . حامد عبد القادر - دراسات في علم النفس الادبي - ص : ٩٣ - الطبعة النموذجية بالقاهرة - ١٩٤٩م.

(٤) إبراهيم أنيس - موسيقى الشعر ص : ١٧ وما بعدها - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، ١٩٦١م.

(٥) ابن رشيق - العمدة - ص : ١٣٤ - ج ١ - ط ٥ .

ألفاظه جميل في تركيب كلماته ، جميل في توالي مقاطعه وانسجامها بحيث يترد ويتكرر بعضها فتسمعه الآذان موسيقي ونغماً منتظماً ، فالشعر صورة جميلة من صور الكلام وللشعر عدة نواح للجمال أسرعها إلي نفوسنا ما فيه من جرس الالفاظ وتوالي المقاطع ، وهو ما نسميه بموسيقي الشعر^(١).

ونظراً لهذه الموسيقي التي تتبعث من الألفاظ والتأليف الشعرية لم يفت العرب أن يربطوا بين الشعر والغناء في شتي العصور . فطبيعة الشعر تعتمد علي موسيقي الألفاظ ، وفن الغناء يعتمد علي الالحن ، فنجد في موسيقي الغناء من العون في الكلام الموزون المقتفي ما لا نجده في الكلام المنثور بل أن التقني أو الترزم بالمعاني قبل صياغتها يساعدان ألي حد كبير في صنع العشر الجيد^(٢).

والشعر عند العرب هو معيار الالحن يقول بن رشيق : (وزعم صاحب الموسيقي أن الذ الملاذ كلها اللحن ، ونحن نعلم أن الأوزان قواعد الألحان والأشعار بين مفرداتها ...)^(٣).

يقول عز الدين إسماعيل : (ولما القصيدة بنية موسيقية متكاملة كان من الطبيعي أن يلتفت الشاعر لهذه البنية إلي العناصر التي تحقق الأنسجام بين مفرداتها)^(٤).

وهذه الظاهرة جعلت من اللغة العربية منذ القدم لغة موسيقية ، فأدبها أدب أذن لا أدب عين والتميز بها يعود إلي ما أكتسبته الأذن من مران وتميز بين الفروق الصوتية الدقيقة حيث تستريح إلي كلام لحسن وقعة وإيقاعة ، وتأتي آخر لبنوه . وهذه الصلة الوثيقة التي أحس بها العرب بين الشعر والموسيقي في لغتهم جعلت بعض النقاد المحدثين يري في اللغة العربية لغة شاعرة بنيت علي نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي جملتها فن منظوم منسق الاوراق والاصوات لا تتفصل عن الشعر في كلام تأليف منه ولو لم يكن من كلام الشعراء

(١) د . إبراهيم أنيس - موسيقي الشعر ص: ١١ - ١٢ - مرجع سابق .

(٢) د . عبد القادر صالح نافع - عضوية الموسيقي في النص الشعري - ص : ١١٣ - مكتبة المنار - الأردن - ط ١ - ١٩٨٥ م .

(٣) ابن رشيق : ١ / ٢٦ .

(٤) عز الدين إسماعيل - الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية - ص : ٩٦ - مرجع سابق.

وهذه الخاصية في اللغة الرعبة ظاهرة في تركيب حروفها علي حده إلي تركيب مفرداتها وتفصيلاتها في بنية القصيدة^(١).

يتبين من خلال هذه الآراء أن الموسيقى تحقق الانسجام بين المفردات يتردد بعضها ويتكرر فيقع نغماً ولحناً لتوالي الأجزاء والمقاطع وحسن التركيب فيجد موقعا مريحاً في النفس ، ولما كان وصف الأزهار يعتمد علي اضراب الأذن وتغذية الروح ، جاء في كثيره خالياً من الإضطراب ، بل عمل علي نقل انفعالات الشاعر ، ويوقظ العواطف وينبئ الاحساس كما نلمح ذلك في قول الشاعر السري الرفاء :

وبساط ريحان كما زبرجد عبست بصفته الجنوب فارعدا
يشتاق الشرب الكرام وكلما مرض النسيم سروا إلية عودا^(٢)

ففي هذين البيتين أفاد الشاعر من نغم الكامل الفخيم (متفاعل .. متفاعلن) ، لكنه رقق هذه الفخامة ، وهلهلها بالموسيقى المستكنة في نغم أصوات الحروف ألا تري تكرار الحروف كحرف الراء في : (ريحان ، وزبرجد ، والشرب ، والكلام ومرض) ولئن كانت الراء فخيمة شيئاً ما فقد سيطت بأصوات عالية الرنين كالسين في : (بساط نسيم وسروا) .

ويقول عمر بن أبي ربيعة عندما أعجبه الريح الحسن الجميل :

إن لي عند نفحة ريحا ن من الجل أو من الياسمين
التفاتا وروعة لك أرجو أن تكوني حلت فيما يلينا^(٣)

كان الخفيف هاهنا أليق شيئاً بالغرض : (فالاتن - فاعلاتن - فاعلاتن) ، فلغة الأزهار إن كانت تنكي علي تأمل عميق موصول بالعاطفة فإنما يحمل ذلك كله علي نغم موسيقي بين الوقار والسلاسة . وهو ظاهر أيضاً في قول صفي الدين الحلي وهو يصف عين البرود أحد ضيع ماردين :

كم بها من بديع زهر أنيق كفصول منظومة وعقود

(١) عباس محمود العقاد - اللغة الشاعرة - ص: ٨ - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٦٠م

(٢) النويري - نهاية الأرب - ص: ٢٥٢ - مرجع سابق .

(٣) نقلاً عن حسن مصطفى حسن نياتات في الشعر العربي - ص: ٩٢ - مرجع سابق.

كجيين ، وعارض ، وقوم وتغور وأعين وخدود^(١)

يتبين لنا الجمال الذي أضفتة الأوزان الموسيقية علي ألفاظ الأبيات الشعرية فأخرجها في قوالب منسجمة متناغمة لتصل إلي الغرض الأساسي ، إطراب للأذن وتحقيقاً للأنفعال النفسي .

(١) صفى الدين الحلبي : الديوان - ص : ٤٦٥ - مرجع سابق .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمة تتم الصالحات ، فالشعر معين لا ينضب ورده، وما زالت روعة الشعر وفنونة تجذب النفوس وتأثير الاقئدة ، وتلفت الأنظار إلي أغراضة المختلفة، وكل من أدلي بدلوه فيه اخراج عقداً جيد النظم، مترابط الأجزاء معناً ومبني، كل حسب زاويته الخاصة ورؤيته الفنية للغرض الذي اتخذه سبيلاً.

ومن خلال دراستي لظاهرة وصف الازهار في الشعر العربي قد توصلت إلي الأتي:

١. التمسك بديننا الحنيف الذي يدعو في مواقف كثيرة علي رؤية الجمال والمتعة به وممارسته في سلوكنا لنكون أفضل الناس. قال تعالى: (إنا جعلنا علي الأرض زينة). وقال تعالى: (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين).
٢. الطبيعة هي المحراب الذي يعيش فيه الانسان مع غيره من الكائنات. فعلينا أن نتأملها ، ولقد ذكرنا الخالق جلاله بقوة خلقه في الطبيعة التي حولنا لنري إعجازها ، من أرض وسما وشمس ، وقمر ، وأشجار وثمار ، وجبال وبحار.
٣. تقاليد المعاملة من تحية ومودة وكلمة طيبة وحوار بناء يترك أثرا جمالياً في صدر كل فرد ، ويصبح التعامل المبني علي إدراك الجمال تعاملأ أخلاقياً يجعل من بناء المجتمع شيئاً إنسانياً.

التوصيات:

١. الشعر العربي اساس من اسس الأدب العربي يشكل منبعاً ثراً للدارسين، يجب الإهتمام بالتوجه نحو دراسة قضاياها المختلفة وربطه بالحياة ومناحيها المتنوعة.
٢. يجب الإهتمام بعلوم النفس والإجتماع بفروعها المختلفة وربطها بدراسة الأدب الأدب وتربية الذوق الجمالي في الأجيال القادمة.
٣. هذه الدراسة تُعتبر خطوة لتتبع ظاهرة وصف الازهار في الشعر العربي أرجو أن يسنفاد منها ، وأن تتبعها خطوة أخرى مشابهة، حتى تتوصل إلي منهج متكامل في مجال الدراسات الأدبية والنقدية.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- الدوريات.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...)	البقرة	١٦٤	٨
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ... * وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ...)	//	٢٦٤ - ٢٦٥	١٠
(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ ...)	آل عمران	١٩٠	٨
(هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ ...)	//	٦	٩٩
(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ...)	المائدة	٥٠	٤٢
(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ..)	الأنعام	٩٩	١١
(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ...)	//	١٤١	١٢
(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ...)	الأعراف	١١	٩٨
(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ...)	النحل	٥ - ٦	٩
(نَبَتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ ...)	//	١٠ - ١١	١٦
(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا...)	الكهف	٧	٨
(هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ...)	الفرقان	٦٣	٤٣
(وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ...)	الصافات	١٤٦	١١
(... وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ...)	غافر	٦٤	٩٩
(...وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ...)	الرحمن	١١ - ١٢	١١
(فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ...)	//	٣٧	١٢

١٢	٦٨	//	(فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ...)
١٢	٨٩	الواقعة	(فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ...)
٩٩-٩٦	٢٤	الحشر	(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ...)
١١	٥	الإنسان	(إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا..)
٩	٣٣-٢٧	النازعات	(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا... رَفَعَ...)
٩٩	٨	الأنفطار	(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ...)

فهرس الاحاديث

الصفحة	الحديث
٩٧	(... إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورن ...)
٤٣	(إنك أمؤ فيك جاهلية ...)
٩٧	(... فإن الله خلق آدم علي صورته ...)

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- ١- إبراهيم أنيس * موسقي - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٤ - ١٩٧٢ م.
- ٢- إبراهيم عبد الرحمن غنيم * الصورة الفنية في الشعر العربي - مثال ونقد الشركة العربي للنشر والتوزيع - مصر.
- ٣- إبراهيم علي أبو خشب * بحوث في الأدب الجاهلي - مطبعة لجنة البيان العربي - بيروت - ط ١ - ١٩٦١ م.
- ٤- ابن الرومي ، علي بن العباس * الديوان - تحقيق : عبد الله الأمير مهنا - منشورات مكتبة الهلال - بيروت - ط ١ - ١٩٩١ م - شرح : فاروق أسليم وشرح : اسامة حيدر وشرح : أنطوني نعيم - طبعة دار الجليل - بيروت - ١٩٩٨ م.
- ٥- ابن المعتز أبو العباس عبد الله بن خليفة * الديوان، شرح : شكري فرحات - دار الجليل - بيروت - ١٩٦٥ م.
- ٦- ابن حمديس ! عبد الجبار بن حمديس * الديوان ، حصيحة : إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٩٦٠ م.
- ٧- ابن خفاجة ! أبو إسحق إبراهيم * الديوان - صححة وقد له - كرم البستاني - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٦١ م تحقيق : السيد مصطفى غازي - منشأة المعارف - الاسكندرية ١٩٦٩ م.
- ٨- ابن سنان الخفاجي * سر الفصاحة - مطبعة علي صبيح - القاهرة - ١٩٦٩ م.
- ٩- ابن عبدربة ! الاندلسي ابن أحمد بن محمد * العقد الفريد - ترجمة وضبطة : أحمد أمين - ط ٣ - ١٩٧٣ م.
- ١٠- ابن قتيبة ! أبي محمد عد الله بن مسلم * الشعر والشعراء - شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر - ١٩٦٦ م.
- ١١- ابن كثير ! عماد الدين أبو الفداء إسماعيل * تفسير القرآن العظيم - دار الطباعة والنشر - بيروت - ١٩٨١ م - تحقيق : عبد الرؤوف سعيد - مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع - المنصورة - ط ١ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م - وطبعة دار الجليل - بيروت - ١٩٩٨ م.
- ١٢- ابن منظور ! محمد مكرم الأنصاري * لسان العرب حققة : عبد الله علي كبير وآخرون - دار المعارف - مصر - ١٩٦٤ م.
- ١٣- ابن هاني ! الأندلسي أبو القاسم محمد * الديوان - دار صادر - بيروت - ١٩٦٤ م.
- ١٤- ابن منظور ! محمد بن هاني * السيرة النبوية - تقديم عبد الرؤوف سعد - دار الجليل - بيروت - ١٩٩٧ م.
- ١٥- أبو الفرج الاصفهاني * الأغاني - مطبعة الكتب المصرية - القاهرة ، ١٩٣٥ م - وطبعة دار الثقافة - بيروت - ١٩٥٨ م. وتحقيق : عبد الستار فراج - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦١ - ١٩٦٠ - ١٩٦٥ م.
- ١٦- أبو زيد بن أبي الخطاب القرشي * شرح : علي مهنا - دار الكتب العلمية - ط ١٢٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ١٧- أبو سعد ! عبد الله قريب بن عبد * جمهرة أشعار العرب - حققة وشرحة : خليل سرف الدين - دار مكتبة الهلال - بيروت - ١٩٩٢ هـ - ١٤١٢ م.
- ١٧- أبو سعد ! عبد الله قريب بن عبد * الاصمعيان - تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون - دار المعارف - مصر -

١٩٦٤م.

الملك

١٨- الديوان -حققة أحمد عبد المجيد الغزالي - دار الكتاب العربي -لبنان-١٩٨٢م-طبعة
دار صادر - بيروت.

* أبونواس !الحسن بن هاني

١٩- تاريخ الادب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين -دار الشروق للنشر والتوزيع
بيروت - ط١-١٩٦٢م.

* إحسان عباس

٢٠- من النقد والأدب - مكتبة نهضة مصر - القاهرة - ط٣ - ١٩٩٤م.

* أحمد أحمد البدوي

٢١- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها - دار الكتاب العربي - بيروت د.ط-

* أحمد أمين الشنقيطي

١٩٨٥م.

٢٢- الايلوب - دراسة بلاغية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط٣ - ١٩٤٥ م .

* أحمد الشايب

٢٣- معجم متن اللغة - دار مكتبة بيروت - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

* أحمد رضا

٢٤- أغاني في الشعر الجاهلي - مكتبة النهضة - القاهرة - ط١ - ١٩٥٨م.

* أحمد محمد عبد الباقي

٢٥- معالم الحضارة العربية في القرن الهجري - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت -

* أحمد محمد الخوني

١ - ١٩٩١م.

٢٦- في الأدب الأندلسي . مكتبة الشايب - المنيرة - القاهرة - ط١ - ١٩٦٢م.

* أحمد هيكل

٢٧- الديوان - صفه وكتب ومقدماته إيليا سليم الحاوي - دار الثقافة - بيروت -

* الأخطال ! غياث بن غوث

١٩٦٨م.

٢٨- وصف الطبيعة في الشعر الاموي - الرسالة - دار عمار - الأردن - د.ن.

* إسماعيل أحمد شحادة العالم

٢٩- الديوان - كرم البستاني - دار صادر - بيروت - الديوان - تحقيق : لجنة الدراسات

* الأعشي ! ميمون بن قيس

في دار الكتاب اللبناني - كامل سليمان - ط١ - د. ن.

٣٠- الشعر العربي كيف نفهمه وتدوقه - ترجمة إبراهيم الشوش - مكتبة منيمنة - بيروت

* أليز بيت ذري

- ١٩٦١م.

٣١- الديوان - حققة : حنا الفاخوري - دار الجليل - بيروت - ط١ - ١٩٨٩م -

* امؤ القيس ! حجر بن عمر

وطبعه دار الكتاب العربي - فرح محمد الإسكندراني - نهاد رزوق - ٢٠٠٢م -

٣٢- فلسفة الجمال ومذاهبها - دار الطباعة والنشر - ط١ القاهرة - ١٩٩٨م.

* أميرة مطر

٣٣- تطور الشعر العربي في المشرق - الشعر الاندلسي - ترجمة حسين مؤنس -

* أميليو غرسية

مطبعة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٤٩م.

٣٤- فن الوصف وتطورة في الشعر العربي - منشورات دار الكتاب اللبناني - بيروت

* إيليا الحاوي

- ط٢ - ١٩٨٧ م .

- * البحتري ! أبو عبادة بن الطائف
* البستاني
* بشار بن برد
* بمبيج القنطار
- ٣٥- الديوان ،حققة وترجمة حسن كامل الصيرفي - دار المعارف - مصر - ١٩٦٣م.
٣٦- محيط المحيط ، مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٣ م .
٣٧- الديوان - شرح وتقيق: حسن حمدي -دار الجيل - بيروت-١٩٩٩م.
٣٨- الطبيعة الحية والصامتة في الشعر الجاهلي - منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت - ط ١ - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
- ٣٩- الديوان -إعداد وتقديم: طلال حرب-دار صادر - بيروت-ط ١-١٩٩٦م.
٤٠- بحث في علم الجمال - ترجمة :أنور عبد العزيز - مراجعة :نظمي لوقا- مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر- مكتبة النهضة العربية القاهرة- ١٩٧٠م
٤١- الصورة الفنية في التراث البلاغي - طبعة دار الثقافة - القاهرة - (د.د).
٤٢- الحيوان - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٣- ١٩٦٩م. ومطبعة دار الجيل - بيروت - ١٩٨٨م.
٤٣- علم البساتين - الدار العربية للطباعة والنشر - بيروت - (د . د).
٤٤- الديوان - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - ط ١-١٩٦٤م- وديوان - سرح / يوسف عبيد - دار الجيل - بيروت - ط ١ - ١٩٩٥م.
٤٥- نباتات في القرآن الكريم-مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة -(د . ن)،(د . ط).
٤٦- الديوان :شرح ومراجعة : عبد المجيد الذراقط- منشورات دار الهلال - بيروت - ط ١ - ١٩٨٩م.
- ٤٧- تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال - القاهرة ، ١٩٤٩م.
٤٨- دراسات في علم النفس الأدبي ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ١٩٤٩م.
٤٩- الديوان - دار صادر - بيروت - ١٩٢٢م.
٥٠- النبات والحيوان في القرآن - وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - جمهورية السودان ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
- ٥١- زهر الأداب وثمر الألباب - شرح : علي محمد البيجاوي -دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط ١ - ١٩٥٣م.
٥٢- البديع في وصف الربيع ، تحقيق : عبد الرحيم - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- * جابر عصفور
* الجاحظ ! عمرو بن بحر
* جانبك
* جرير بن عطية
* جمال الدين حسن مهران
* جميل بن معمر ! جميل بن عبد الله
* جورجى زيدان
* حامد عبد القادر
* حسان بن ثابت
* حسن مصطفى حسن
* الحصري
* الحميري ! الوليد إسماعيل

- * ذي الرمة! عقيلان بن نهمش ٥٣ - الديوان، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - دمشق ط ٢ - ١٩٦٤ م.
- * الرازي! أحمد بن فارس ٥٤ - معجم مقاييس اللغة - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٩٩٩ م.
- * الراعي، أبو جندل عبدة بن حصين ٥٥ - الديوان - شرح: واضح عبد الصمد - دار الجيل - بيروت - ط ١ - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- * رشدي علي حسن ٥٦ - الطبعة في العصر العباسي الثاني - مؤسسة الرسالة - دار عمار - بيروت - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- * رشيق القيرواني ٥٧ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه - تحقيق: علي قرقدان - دار المعرفة - بيروت - ١٩٨١ م.
- * الصافي البلنسي، أبو عبد الله محمد بن غالب ٥٨ - جمعة وقدم له: إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - ط ١ - ١٩٦٠ م.
- * السباعي بيومي ٥٩ - الديوان - تحقيق: يوسف أمين - بغداد - ١٩٥٦ م.
- * السري الفاء ٦٠ - الديوان - تحقيق: يوسف أمين - بغداد - ١٩٥٦ م.
- * السيد أحمد الهاشمي ٦١ - جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب - مكتبة المعارف - بيروت.
- * سيد نوفل ٦٢ - الطبعة في الادب العربي - دار المعارف - مصر - ط ١ - ١٩٩٣ م.
- * الشحات نصر الدين أبو زيد ٦٣ - النيات العطرة ومنتجاتها الزراعية - الدار العربية للنشر والتوزيع - القاهرة .
- * الشماخ بن ضرار ٦٤ - الديوان - تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي - دار المعارف - مصر - ١٩٦٨ م.
- * شوقي ضيف ٦٥ - تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - دار المعارف - مصر - ط ١ - ١٩٦٠ م - وط ٦ - ١٩٧٤ م. العصر الإسلامي - ط ٧ - ١٩٦٣ م.
- * الشيخ عبد الله العلائي ٦٦ - الصحاح في اللغة والعلوم - دار الحضارة العربية - بيروت - د . ن .
- * صاحب بن عباد ٦٧ - الديوان - تحقيق: الشيخ محمد آل ياسين - مكتبة النهضة - بغداد د.ت - ط ١ - ١٣٤٨ هـ - ١٩٧٤ م.
- * الصحاح في اللغة والعلوم ٦٨ - تصنيف: نديم مرعشلي - أسامة مرعشلي - دار الحضارة العربية - بيروت - ط ١ - ١٩٧٤ م.
- صفي الدين الحلبي ٦٩ - الديوان - كرم النستاني - دار بيروت للطباعة والنشر - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- * الصنوبري، أحمد بن محمد بن الحسن ٧٠ - الديوان - تحقيق: إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - ١٩٧٠ م؟ الضبي

- * طرفة بن العبد ٧١- الديوان - شرح وتحقيق : محمد محمود - دار الفكر اللبناني - بيروت - ط ١ - ١٩٩٥ م.
- * عباس محمود العقاد ٧٢- اللغة الشاعر - المكتبة المصرية - بيروت - (د.ط) - (د.ت).
- * عبد الله الطيب ٧٣- محاضرات الموسم الثقافي .
- * عبد الله كنون ٧٤- النبوغ لمغربي في الأدب - دار الكتاب اللبناني - بيروت - (د.ط) - (د.ت).
- * عبد الحميد محمود حسن جاد ٧٥- الأدب العربي في ظلال الأموميين والعباسيين - دار التأليف - القاهرة - ١٩٥٢ م
- * عبد العزيز عتيق ٧٦- الادب العربي في الأندلسي - دار النهضة العربية - بيروت - (د.ط) (د.ت).
- * عبد العظيم قناوي ٧٧- الطبيعة في الشعر الجاهلي - دار النهضة العربية - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- * عبد القادر صالح نافع ٧٨- عضوية الموسيقى في النص الشعري - مكتبة المنار - الأردن - ط - ١٩٨٥ م.
- * * عبد القاهر الجرجاني ٧٩- دلائل الإعجاز - صححة: السيد محمد رشيد حنا - مكتبة ومطبعة علي صبيح وأولادة - القاهرة - ط ١ - ١٩٦٠ م.
- * عبید الأبرص ٨٠- الديوان - دار صادر - د. ط - ١٩٩٨ م.
- * عثمان موافي ٨١- من قضايا الشعر والنثر في النقد الادبي القديم - مؤسسة الثقافية الجامعية - الإسكندرية - مصر - د . ط - ١٩٧٥ م.
- * عز الدين إسماعيل ٨٢- الأسس الجمالية في النقد العربي - عرض وتفسير ومقارنة - دار الفكر العربي - بيروت - ط ٣ - د . ت .
- * عز الدين فراج ٨٣- نباتات الزينة وطرق تنسيقها في الحدائق - دار المعارف - مصر - ١٩٧ م.
- * علي إبراهيم أبوزيد ٨٤- الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي - دار المعارف - مصر - ط ١ - ١٩٨١ م.
- * عمر بن أبي ربيعة ، أبو الخطاب ٨٥- الديوان - شرح يوسف فرحان - دار الجيل بيروت - ط ١ - د . ت .
- * عمر فروج ٨٦- تاريخ الأدب العربي - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ١ - ١٩٦٥ م - الأعصر العباسية ألي نهاية القرن الربع - المهجري - ط ١ - ١٩٦٨ م .
- * أبو عمر يوسف بن عبد الله بن ٨٧- الاستيعاب في أسماء الاصحاح - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٣٢٨ هـ .
- عبد البر
- * عنتر بن شداد ٨٨- الديوان - شرح: يوسف عبید - دار الجيل - بيروت - ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
- * عيسى سابا ٨٩- شعر القصة والوصف في لبنان - بيروت ١٩٦١ م.
- * الفتح بن خافان ٩٠- قلائد العقاب في محاسن الأعيان - دار صادر - بيروت - ١٩٠ م.

- * الفيروز أبادي ، محي الدين محمد ٩١ - القاموس المحيط - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت - د.ت. بن يعقوب
- * قدامة بن جعفر ٩٢ - نقد الشعر - تحقيق: محمد خفاجة - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٩٨٠ م.
- * القرطبي ، أبو عبد الله محمد ٩٣ - الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربي - بيروت - د. ت. الأنصاري
- * كعب بن زهير ، أبو عقبة كعب ٩٤ - حققة وشرحة : علي الناعور - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧ م.
- * لطفي عبد البديع ٩٥ - التركيب اللغوي للأدب - مطبعة دار النهضة المصرية - ط ١ - ١٩٧٠ م.
- * المتنبي (أحمد بن الحسن) ٩٦ - الديوان، وضعة : عبد الرحمن البرقوقي - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٠ م - مطبعة دار الجليل بيروت ، شرح: حسين حموي ، ١٩٩٦ م.
- * المثقب العبدى ٩٧ - الديوان - شرح: حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة - ١٩٧١ م.
- * مجنون ليلي ، قيس بن معاذ بن الملوح ٩٨ - الديوان - شر وتطبيق : محمد محمود - دار الفكر اللبناني - بيروت - ط ١ - ١٩٩٨ م.
- * محمد أمين ٩٩ - فجر الإسلام - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ١ - د. ت.
- * محمد بيومي ١٠٠ - تربية الذوق الجمالي - دار المعارف - مصر - ١٩٩٦ م.
- * محمود بيسوني ١٠١ - الفن في تربية الوجدان - دار المعارف رواتة - منشأة المعارف - الإسكندرية - د. ت.
- * محمد زغلول ١٠٢ - النقد العربي الحديث أصوله واتجاهات رواتة - منشأة المعارف - الإسكندرية - د. ت.
- * محمد بن سلام الجمحي ١٠٣ - طبقات فحول الشعراء - شرح : محمود شاكر - مطبعة المدني - القاهرة .
- * محمد عبد المتعم خفاجة ١٠٤ - ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان - دار الجليل - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٠ هـ - ١٩٩١ م.
- * صلاح الدين عبد التواب ١٠٥ - الحياة الادبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام - الإسلام - مكتبة الكليات الأزهرية - د. ت.
- * محمد غنيم هلال ١٠٦ - النقد الادبي الحديث - دار الثقافة - بيروت - ١٩٧٧ م.
- * محمد قطب ١٠٧ - مناهج الفن - دار الشروق - بيروت - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- * محمد مفيد الشوباشي ١٠٨ - الأدب والفن في ضوء الواقعية - ترجمة : جون فريقال - دار الفكر العربي - القاهرة - د. ت.
- * محمود محمد محفوظ وآخرون ١٠٩ - الموسوعة الميسرة - دار الجليل - القاهرة - ط ١ - ٢٠٠١ م.
- * ومسلم بن الوليد الأنصاري ١١٠ - الديوان - شرح وتحقيق: سامي الدهان - دار المعارف - مصر - ١٩٧٠ م.

- * مصطفى الشكعة
* مصطفى صادق الرافعي
* مصطفى عبد الكريم
* مصطفى ناصف
* المعجم الوسيط
- ١١١ - الأدب الأندلسي - موضوعات وفنونه - دار العلم للملايين - ط ٥ - ١٩٨٠ م.
١١٢ - تاريخ الأدب العربي - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٧٤ م.
١١٣ - ابن صارة - حياته وشعره - د . ط . د . ت.
١١٤ - الصورة الأدبية - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٥٨ م.
١١٥ - إبراهيم أنيس وآخرون - مطبعة إحياء التراث الإسلامي - قطر - ١٩٧٢ م.
- * المنجد في اللغة والأعلام
* منصور عبد الرحمن
- ١١٦ - مجمع اللغة العربية - دار المشرق - بيروت - ط ٢ - ١٩٦٠ م.
١١٧ - اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٧ م.
- * النابغة الذبياني ، أبوأمامة زياد بن معاوية
* ناصف اليازجي
* نصرت عبد الرحمن
- ١١٨ - الديوان - اختيار العلامة يوسف بن سليمان السمنري - ط ٣ - ١٩٨٣ م.
١١٩ - العرف الطيب - في شرح ديوان أبو الطيب.
١٢٠ - الصورة الفنية في الشعر الجاهلي - مكتبة الأقصي - الاردن - ط ٢ - ١٩٨٢ م.
- * النعمات عبد المتعال القاضي
* نعيم الياني
- ١٢١ - شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٥ م.
١٢٢ - تطورات الصورة الفنية في الشعر العربي - دار اتحاد الكتاب العربي - بيروت .
- * نوري حمدوي القيسي
- ١٢٣ - الطبيعة في الشعر الجاهلي - مكتبة النهضة العربية - بيروت - ط ٢ - ١٩٨٤ م.
- * النويري ، شهاب الدين أحمد
عبد الوهاب
* الولي محمد
- ١٢٤ - نهاية الأرب - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر نسخة مصورة من طبعة دار الكويت .
١٢٥ - الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي - المركز الثقافي العربي - بيروت - ط ١ - ١٩٩٠ م .
- * يحيى جبوري
- ١٢٦ - الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - بيروت - ط ٤ - ١٩٨٤ م .

الدرويات

- ١- مجلة حوليات الجامعة التونسية - العدد الثالث والعشرون - محمد اليعلاني
- شعر الطبيعة في الادب العربي القديم - ١٩٨٤م.
- ٢- فنون الأدب العربي - الفن الغنائي - يسترك في وضع هذه المجموعة عدد
من أدباء الاقطار العربية - دار المعارف - مصر .
٣. المجلة العربية - مجلة نصف سنوية - السنة التاسعة - العدد السابع عشر
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون .
- ٤- مجلة كلية الآدب - المجلد الأول - العدد الحادي والعشرون بغداد -
١٩٧٧م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
آية قرآنية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
مقدمة	١
الفصل الأول : وصف جماليات الطبيعة .	٤٠ - ٦
المبحث الأول : إشارة الكريم إلي جماليات الطبيعة	١٥ - ٧
المبحث الثاني : الطبيعة واثرها في الشعر	٢٧ - ١٦
المبحث الثالث : الوصف غرض من أعراض الطبيعة	٤٠ - ٢٩
الفصل الثاني : وصف الأزهار في العصور العربية	٩٤ - ٤١
المبحث الأول : الأزهار في العصرين الجاهلي والاموي وأسباب ندرة وصفها	٥٨ - ٤٢
المبحث الثاني : وصف الازهار في العصر العباسي	٨٥ - ٥٩
المبحث الثالث : وصف الأهار في الأندلسي	٩٤ - ٨٦
الفصل الثالث : الدراسة الفنية	١١٨ - ٩٥
المبحث الأول : مفهوم الصورة الفنية	١٠٥ - ٩٦
المبحث الثاني : دراسة فنية لوصف الأزهار من حيث:	
اللغة الأسلوب	١١١ - ١٠٦
المعاني والاختيلة	١١٤ - ١١٢
الموسيقى	١١٨ - ١١٥
الخاتمة	١١٩
الفهارس	١٣٣ - ١٢٠
فهرس الآيات	١٢٢ - ١٢١

١٢٣	فهرس الاحاديث النبوية
١٣٠ - ١٢٤	قائمة المصادر والمراجع
١٣١	الدوريات
١٣٣ - ١٣٢	فهرس الموضوعات

السيرة الذاتية

الاسم : رحاب عوض سليمان عثمان

مكان وتاريخ الميلاد : الجديد الثورة - ١٩٧٦م

المراحل التعليمية : الابتدائية والمتوسطة / الجديد

الثانوية / المسعودية الثانوية العليا

الجامعة / الفاشر - كلية التربية - قسم اللغة العربية

الحالة الاجتماعية : متزوجة - أم لطفلة " رزان "

المهنة : معلمة بالمرحلة الثانوية

العنوان : الجديد الثورة " ٢ " ت. منزل ٢٠١٦١٤ / ٨٣ موبايل ٠٩١٢٦١٤٩٢٦